

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا رسول الله وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم

الشيخ يحيى النفاخ

1954-1898

أمولاي يا ذا النصر يا صاحب العز
ومن جئته مستفتحا قبل للكنز
أمولاي إبراهيم ذا الفيضة التي
تفيض على الأرواح سعدًا بلا عجز
ندمتُ على ما خضته سيدي بلا
رعاية آداب الجنب ولا ميز
من السيِّئ التدبير والاختيار في
طلاي فتحا للخزائن مع حوزي
ليس شاعرًا من أدغال شنقيط !

ولا نجما متألقا من خنازيد السنغال !!

وليس صداحا من بلابل أندلس !!!

إنه واحدٌ من أبناء كنو، رضع بصدره وكرع من غدرانه، لم يبرحه إلا ريثما يعود، إنه الشاعر المطبوع يحيى بن محمد النفاخ، هو ولا شك ممن يتسخنون الذرا في سجّل شعراء هذه البلاد.

إنك مع شاعر مطبوع حارّ العاطفة وقّادها سلس الألفاظ متين السبك ومحلق الخيال ... هذه كلها إلى جانب الحس الإيقاعي المتفرد إذ تكون مع يحيى النفاخ، فإذا كان والده ينفخ في البوق حتى تدرج إلى رئاسة البواقين فالحس الإيقاعي في دار النفاخ هبة ووراثه وليست كلفة مدعاة.

وُلد الشاعر يحيى بن محمد النفاخ بن آدم بن محمد عام 1898م في إحدى حارات كنو المحروسة "شارفطي" من أب عامل على البوق أو على الموسيقى بالأحرى، وأم شغوف بالعلم والعلماء.

كان منذ نشأته الأولى معرضا عن اللهو محبا للعزلة مفضوًّا على التدين.

وبعد اجتياز المرحلة التعليمية الأولى، التحق بمعاهد كثيرة في مدينة كنو منها معهد مالم بابل سورن طنك، ومعهد الشيخ عمر المجذوب، ومدسة مالم محمد ميحميلا، وكان تعلقه بهذا الثالث كبيراً وعنه تلقى الفقه والحديث والتصوف والتاريخ والأدب، بل إنما ظهرت ملامح نبوغه بين يديه، وما أن رمق الأستاذ هذا النبوغ حتى آثر بفتق رتقها وانضاج ثمارها أستاذاً آخر أقدر منه على رعي المواهب وشحذ العبقريات.

ذلك العلامة الوالي سليمان بن إسماعيل الذي فتح الصفحة الثانية من حياة الشاعر.

فقد قدمه الشيخ مى حميلا هدية ثمينة للوالي سليمان، فقَدَّر الأخير الهدية جدَّ تقدير واعتنى بالفتى بعناية الأم الرؤوم بطفلها الوحيد، وأفرغ عليه خلاصة علومه وشحنه بعصارة ثقافته الموسوعية، في اللغة بفروعها، في التفسير والحديث والفقه وأصوله، في الفلسفة والحساب والفلك والتاريخ، في الطب والمنطق والتصوف والأخلاق.

وقد ظل الفتى وفيا لأستاذه متفانيا في خدمته التي لا يألو عليها ليل نهار حتى حين قدوم شيخ الإسلام الشيخ إبراهيم انياس الكولخي الذي طوى صفحة من التاريخ في نيجيريا ومل حولها وفتح أخرى، فكان الشيخ الوالي من أوائل من اتصل بالشيخ وتبوأ عنده مكانا عليًا، ولم يأل هو الآخر أن يقَدِّم هذا البحر الضليع من علوم الشرع حتى يُقعد على مقعد صدق عند مليك مقتدر.

وعندما آلت إمارة أنغوغو إلى الأمير محمد إنوا، لم يجد غير أستاذه وشيخه يحيى بن محمد النفاخ مستشارًا له، ومع هذا الاختيار فتحت صفحة جديدة من حياة الشاعر مع الوظائف الحكومية التي استقال منها قبل وفاته بعام.

وكان شديد الصلة بالله تعالى، خاض ذات ليلة حربًا شعواء ضد إبليس اللعين، ألح عليه إبليس إلا اعترف بوجود إله مع الله، ولكنه كذب اللعين بصاروخ مدبّر من قول الحق تعالى: "الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور" فذهب اللعين أدراج الرياح، ولفرح الانتصار توج الشاعر قصيدة شكرية بالآية الشريفة قال فيها:

الحمد لله مولانا الذي خلقنا
واختار من خلقه وعظّم الخلقا
له جزائل شكران على نعمٍ
جلّت وأعيت لساني إذ بها نطقا
لا ربَّ لي غيره دومًا أوحدّه
ومن يقل بسوى الرحمن اختلقا
هدى إلى دينه بالرسل مرحمة
والرسل قد بلغوا وربنا صدقا

وخصنا بإمام الرسل قاطبة
وختمهم خير من يأتي ومن سبقا
وفيها يقول:

ذرفت دمعي حبًا للنبي ولد
يا لهف نفسي على فقدي لرؤيته
ولو تباع لأعطي البائع الرمقا
والإجماع به في مشهد العُتقا
نرجو من الله في الفردوس رؤيته

إلى آخرها، وهي رائعة حقا. وإنك إذ تسمعه في تضرعاته وابتهالاته تغرق في بحر لحي يغشاه من فوقه نور على نور من الوجد والهيام في حضرة الجمع والإطلاق.

وعندما تفرع أذنك تكريراته الأنافورا في قصيدته قرة العينين تبهر أمام هذا الوعي النفاذ في حقيقة الحب الإلهي الذي لا يتأدى في الواقع جناب سيدنا رسول الله.

ومن أخباره الدالة على أدبه البالغ مع خلق الله أنه يمنع من رمي الحجر والمدر وما إليهما من الجمادات إلا برفق واحترام لأنها من عباد الله الذاكرين له وإن الذي خلقنا بشرًا هو الذي خلقها حجرا.

وقد رزق شاعرنا بأولاد نجباء منهم السيد أحمد الرفاعي الذي تأتي ترجمته في هذا الكتاب إن شاء الله.

نماذج من شعره

حدا سائق الأظعان لو كان أنعما
لما أدأب التسيار عن شيق اللمي
سبنتي وأودت لفحة منه لمحّة
على غفلة قد غادرتني متيّمًا
براني بحكم الحب تذكّار ليلة
أنيسي بها ناحيته وتبسّمًا
نسامر حتى أسفر الصبح وانجلي
ونادى مناد بالرحيل وألّزما
ألم يدر أن لا شيء أقتل للفتى
كمثل الهوى يوم الفراق وأظلّما

أغثني أيا من حسبنا علمه بنا
لك الملك ملكنا هوانا مصرِّفا
لك الحمد يا محيي العظام رميها
هل المأمل المغبوط يحصل للذي
وقوفي ذليلا حائرا دلني على
نهاية آمالي انتظامي بسلك من
عتاب عدولي فيك مدح مبالغ
مضى ما مضى والقلب راج وطامع
ألا ذاك عدلا كان فضلا يكون ذا
لجانا إلى من لا التجاء لغيره
وكلنا إليك الأمر كلاً مفوضا
كستني ثوب الذل حجب كثيفة
يبشرنا أن كان فضلك واسعا
لنا العروة الوثقى حبيبك أحمد
وصل إليه العرش ما رن منشد
وسلم وآل والصحابة كلهم
وله:

حيّاك روحي حبيب القلب حيّاكا
أحيا بمحياه إيناسي محيّاكا

يا راحلا بفؤادي لم أزل شبعا
لقد تركت صدورًا مذ رحلت خلت
فاعطف على أهلها إن كنت منعطفًا
أبا السعود وسعدي غير مرتجع
أيًا سليل قتيل الكربلاء فكم
رقيت فوق ذرا مجدٍ بأصلك إذ
لك الغرائز أحصي سبع عشرتها
والعلم والحلم دين والحيا كرمٌ
تواضع ووفاء زهدٌ ومسكنة
والعزم والحزم والتفويض يكملها
يا بهجة النفس يا كل السرور ويا
أقمت فينا سنينا لم تبين ريبٌ
خالفت جنسك بالأخلاق منفردًا
صنّت الجوارح في طاعات خالقها
عاملت بالنصح والإنصاف كلَّ أخٍ
وليين جانبك طالما وسعت
عروضتها بمعونات مؤنتها
ياسين أحمد هل تدري بما صنعت
مُضنى ببعذك عني أين مغناكا
عن القلوب التي سارت بمسراكا
وسعدُ أصحابها تقبيل يمناكا
إلا برجعاك أو رجعاي مأواكا
أحيت قتيل البلا والكرب ريبًاكا
بك انتهى لرسول الله مرقاكا
بعد الثلاث إذا عدت فتقواكا
صدق وعدل وإحسان وجدواكا
صبرٌ وشكرٌ رضًا يا حسن مسعاكا
تبارك الله من ولاك أولاكا
حمال أثقال من وافي ووالاكا
في كل شأنك بل تزداد علياكا
محمودة الشرع ما أدهنت حاشاكا
ما زاع قلبك إذ لم تطغ عيناكا
في الدين توفي حقوق الكلِّ إن جاكا
بالبذل كل ذوي الحاجات كفاكا
دومًا تشرك في نعمك أشراكا
بي الهموم وأنسي حيث مجلاكا

لما سرّيت رسا بين الحشا شجّرت
سل الأمير بما قد ذاق بعدك من
وسل (ثروم) (غلاديما) (ترك) وسل
(سرکن دواک) وفاروق و(طن مکیو)
قد شدّدوا بعرا الإسلام أیدیهم
رحبّ منازلهم عذبّ مناهلهم
في حق شباننا إن قال قائلهم
شبان ساداتنا أشبال غابتنا
شکرا لهم والتقى والحلم شمیمهم
وشغلهم خدمة الإسلام یرشد ذا
یا سادتی أعجمی جاهلّ دنف
عبدّ ذلیلّ بعید الدار عاشقکم
أهدی إليکم تحیاتی تخصّص من
أعني طبیبی دردیری آیا سندي
وله:

قد أعوز الصبر مني دون مرآکا
مرّ البعاد وسل من ناب مثوآکا
(مّعج) ویوسف سل تجب أحباکا
و(طنعیه) (طن برم) في نشر ذکرآکا
هم صادقون ولا یرضون أفآکا
کانت محافلهم للهلك أفلاکا
لی هات روحک یا یحیی أقل هاکا
أبطال غارتنا کانوا ونسآکا
للمستجیر بهم قالوا أجرناکا
وذا ینجی الوری هلکآ وإهلاکا
مستنجدّ بذراکم رام تبرآکا
قولوا قبلناکا یا یحیی فبشراکا
طیب الثناء وأمداحی بها جاکا
شفیت قلبي بما أنطقته فاکا

ویا ذا النبیل الندب یا ابن الفواضل
ویا سابق الميدان لا بالبواذل
قوي من له أید علی کل ساحل

أیا ذا الأصيل الفاضل ابن الأفاضل
أیا فائق الأقران في کل محضر
ویا نجل قانون القضاة عمادها ال

سلام يحاكي نفعه نفع عنبر
وبعدُ جزاك الله عني بفضلته
لأنك قد أدركت حقاً مضيئاً
ولولاك لم يظفر به مستحقه
وأنت قبلت النصح حيث قبوله
ليبلغك عني ما بقلبي حاضر
لمحي لخلق ما به الندب يعني
مراعاة دين الله عند حدوده
فلا سيّدٌ إلا لإصلاح قومه
كإنقاذهم من مهلكات **نحوك**
فخالصه ذا الدين كان نصيحةً
إذا كان هذا ثابتاً كان واجباً
وليس سكوت بالنبية بلائق
إذا منع التصريح منك نبالةً
ولكن الأعمى لا يقود مبصراً
فلست بأدرى منك باللدّ ذكرته
فما فُهِتَ لَمَّا فُهِتَ إلا لموجبٍ
وقد بان لي أن التقي هجر منكراً

عليك سلام الخللِ نائي التواصل
جزاء امرئٍ يهوى النصيحة قابل
بإظهارك المحجات بين المحافل
ولاسيما أن كان قرن الأسافل
عزيز فأحرى من بعالي المنازل
وموجبه الأمران أولى الأوائل
وأفضل مسعى عند كل حلال
وأحكامه في باب كل المسائل
سيادته وافته لا للتخاذل
وإرشادهم للمنجيات الوسائل
لنا معشر الإسلامٍ لانتساهل
على من عليه الحق إعطاء حاصل
لدى خطأٍ من غافلٍ أو لجاهل
فما منع التنبيه حين النوازل
لك العذر في مفعول قولي وفاعل
فإنك قد أوردته غير ناهل
بخطبته من اتَّقوا والمحائل
وإيصال معروف كما في الرسائل

ومجتنباً عن كتمه غير هازل

لي العفو إذ بالعفو فضل الأفاضل

وأصحابه الأخيار أهل الفضائل

ومن يقتني آثارهم في المداخل

ففهتُ بذا المأمور ممتثلاً به

ولكنني إذ ما جفوتك فأكثبتُ

صلاة وتسليم عليه وآله

كذا التابعون والذين يلونهم

الوزير جنيد بن الوزير محمد البخاري

1906-1997

الوزير جنيد بن الوزير محمد البخاري بن أحمد بن الوزير عثمان (غطاطو) بن أبي بكر ليا، يلتقي مع المجدد الإسلامي الشيخ عثمان بن فودي في موسى جكل وهو الجد الثاني عشر للأخير، ثم إن الجنيد من سلالة السيدة البرة العالمة المريية نانا أسماء بنت الشيخ عثمان التي كانت تحت الوزير غطاطو وأنجبت له أحمد الجد الأول لصاحب الترجمة.

ولد الوزير جنيد عام 1906 بجي غطاطاوا (نسبة إلى جده الوزير غطاطو ثاني وزراء الخلافة العثمانية الصكتية) في مدينة صكتو الحالية، وقد نشأ يتيماً اختطفت المنية والده وهو في الرابع من عمره فانتقلت رعايته إلى عمه الوزير محمد سمبو ثم من بعد إلى أخيه الوزير عبد القادر بن محمد البخاري.

بعد ختم القرآن الكريم عند الإمام عبد القادر بن أبي بكر إمام مسجد أمير المؤمنين محمد بلو شمر عن ساق الجد وواصل تحصيله العلمي فدرس كثيراً من الكتب على الإمام المذكور حتى تضلّع في المواد المدروسة غالباً بالدهاليز، ثم اتصل بالشيخ يحيى بن الوزير إبراهيم الخليل فقرأ عليه الكتب التي درسها لدى أستاذه الأول وزاد عليها كتباً أخرى.

وانتقل إلى معهد الشيخ القاضي يحيى النووي الذي تضلّع بين يديه في فنون الأدب واللغة وفتح له مكتبته العامرة فطالع من جملة ما طالع فيها كتاب "نفح الطيب من غصن أندلس الرطيب" لأحمد المقري فكان للكتاب دور بالغ في توسيع ثقافة الشاعر وشحذ عبقريته.

هكذا ظل الوزير دؤوباً على المعرفة والتحصيل، كلما سمع بعالم متفوق بادر إليه للنهل من معينه وفي سبيل ذلك اتصل بألفا نوح وراجع عليه بعض كتب اللغة والأدب والبلاغة، ثم أخذ الكثير عن الشيخ أبي بكر بوي حتى استقر به المطاف وألقى عصا التسيار أخيراً بمعهد الشيخ عثمان بن أحمد أحد النجوم اللمعة في سماء العلم والأدب في النحو والصرف وغيرها.

عين عام 1948 وزيراً للسلطان أبي بكر الثالث وذلك عقب وفاة أخيه الوزير عباس، ولم تمنعه أعباء هذه الوزارة من مزاولة نشاطه التعليمي، بل إن منصب الوزارة في تاريخ دولة صكتو الإسلامية مخصص لذوي العلم والأدب.

أما الشاعرية فموهبة طبع عليها البيت الذي درج فيه الوزير توارثوا عليها كبراً عن كابر، فجدّه الأعلى غطاطو بن ليم وجدته نانا أسماء شاعران مفلقان، وكذلك الجلة من آباءه وأعمامه وبني عمومته وأبنائه يقرضون الشعر على تفاوت بينهم، وهذا يكون قد اتفق لهذا الشاعر ما لم يتفق لغيره في سير كثير من الأدباء والشعراء، يقول التكنية (1981: 3-5 بتصرف):

فالوزير غطاطو بن ليم شاعر مجيد والوزير عبد القادر بن غطاطو اشتهر بمملكة شعرية رائعة والوزير عبد الله بايرو بن غطاطو شاعر كذلك، أما الوزير محمد البخاري والد جنيد فيمتاز بموهبة شعرية فذة.

فكان الوزارة في هذه الدولة تحذو حذو سلفها في الممالك والعصور العربية، يقول العقاد (1967: 78) واصفا هذه الأخيرة:

وقلّ بين نواب المصريين من وصل إلى الوزارة في أواسط القرن التاسع عشر إلا من كان ينظم الشعر ويكتب الرسائل ويتولى التعليم وإدارة المدارس على نحو مماثل ما كان عليه نظراؤهم في أيام العباسيين والفاطميين والأيوبيين ومن تلاهم في القاهرة من المحتفظين بأحكام الديوان ونظام الحكومة.

هذا، وقد ساعد في صقل موهبته الشعرية التي فطر عليها قراءته الدؤوب للشعر الجاهلي، وينضاف إلى ذلك ولعه بتراث الخلافة العثمانية الذي يتربع النظم الصدارة فيه ثم ميله الطبيعي إلى اللغة والأدب في طور الطلب، كل هذه عوامل ساهمت في إنضاج مواهب الشاعر فجدات قريحته بما لم يتأت لغيره من أقرانه في المدح والرثاء والوصف والابتهال، كما طرق أبواب النظم العلمي وخلف تراثا ضخما فيه.

وبالنظرة العابرة إلى شعر الوزير جنيد يمكن تسجيل الملاحظات الآتية:

أ. براعة واضحة في تشكيل الصور التجسيدية والإحيائية المتوَكِّنة في الغالب على التشبيه، يقول في وصف حالة صكتو بفقد شيخه أبي بكر بوبي:

وقد لبثت ثوبًا من الهم صكُّتو كما لبسته قبلُ في غابر الدهر

وناحت عليه غدوة وعشية
كما ناحت الخنساء حزنا على صخر
كما أسفت غوراء من قلع عينها
كما ناحت القمرى من فقد إلفها
كما ناحت الورقاء تدعو هذيلا
على أيكة أو أم عمرو على عمرو
وجفت نواحيها من الهم والأسى
كما جفت البستان من قلة المطر
وأقوت كما أقوى لميمة منزل
توحّش لا تلفي لديه سوى الأثر

ب. القدرة على تصميم لوحات شعرية رائعة، خلاف المؤلف في الشعر العربي التقليدي القائم على وحدة البيت غالبا، وخلاف الغالب من شعر أساطين الجهاد العثماني الذين لا ينهض الخيال بعبئه المتوقع في تشكيله. انظر إلى هذه اللوحة التي يصوّر فيها المملكة العثمانية وقد لوثتها أيدي المحتلين:

أقوت فلست ترى بها أحدا سوى الـ
حرباء لائذة على الأعواد
قامت تخاطبني فعزّ كلامها
فلكم سكوت معلى بمراد
وتدير عينها تشير بذاك دو
ر الدهر غير ما ترى في النادي
وتلونت ففهمت منه تلؤن الـ
أحوال في الدنيا فعزّ رقادي
لم لا أنادي في الطلول وهذه الـ
أطيار فوق غصونهن شوادي
تشدو وترقص في حلى أرياشها
أسقا على طلل يمازحني متى
رقص القيان بحلة الأعياد
ناديت خالفني على المعتاد

ج. الامتصاص الواضح من الشعر العربي القديم، بحيث يتبدل الشعر الجاهلي بصورة خاصة بين ثنايا أبياته، فلا يكاد القارئ يقرأ له خمس أبيات إلا ويلحظ تناسا واستدعاء واضحا لمخزونه الثقافي من تراث الشعر الجاهلي الذي لم يتمكن بل لم يحاول قط صرفه إلى فضاء الحوار.

د. امتلاك واضح لخاصية الإيقاع وإخضاعه لمطالب مشروعه الشعري، وإن كان شعره لم يسلم من المخالفات الصرفية التي قل من سلم منها من شعراء نيجيريا قبل الاحتكاك والتلمذ الفعلي على العرب، فقد عثر انسيابية الإيقاع إيرادُ الردف مفتوحًا، بعد ما كان مسكونًا، في البيتين الأخيرين من الرائية السالفة (المطر - الأثر)

هـ. الاتكاء على الطبيعة واستدعاء مظاهرها في تشكيل جلِّ صوره الجزئية والكلية، ولعل مرد ذلك قراءته الواسعة للأدب الأندلسي من خلال نفع الطيب كما أسبقنا. استمع إليه يسجّل ذكرياته في "أغدس" حيث لم يستوقفه فيها غير الطبيعة بسحرها الفتان ولم يجد من كنوز اللغة ما يصرِّو به إحساسه إلا عناصر الطبيعة، فقال متوكِّاً على الشعر الجاهلي:

ألا أبلغن عني لأقدس تحية	تفوح بعرف المسك أو عرف صندل
وبلِّغ لأهلها سلامًا مباركا	يعم شذاه من تحيت ومن عل
وفيجاؤها حيث الظباء ترود في	خمائل تأتي من جنوب وشمأل
وأحسن بهاتيك التلال فإنها	مسارح جاد الغيث فيها بمسبل
بلاد عريضات وأرض أريضة	منازه عين الناظر المتأمل
ومنها بطاح واسعات تزينت	بأجام دوم والنخيل المكلل
ومنها جبال شامخات يزينها	طرائق من آثار خاف ومنعل
أعد ذكر يوم في تفادك قضيته	تجول به بين الأراك المظلل
وليل بواديهما تهب به الصفا	على شاطئ وسط الكئيب العقنقل
ولا تنس حماما بميثائها الذي	يدفق ماءً ساخنا عند منهل
ورقص رجال في رمال عشية	صفوفا بتصفيق النساء بأنمل
وركضك في وعث الكئيب نجبية	من النوق في أكناف ساحة منزل
وجري الجمال السابقات كأنها	نعام نجت من قانص متنبِّل

وكم أذكرتني بيت شعر خياهما بسقط اللوى بين الدخول فحومل
وأطربني فيها غناء حماتها قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

هكذا إلى آخرها مضمنا أبيات امرئ القيس، وإنما عرضناها استشهادًا على تشبث الشاعر بالطبيعة.

هذا، ويرى هذا الباحث بأن أهم الأدوار العلمية للوزير الجنيد تتمثل في شيئين:

بذل المجهود في الحفاظ على تراث الخلافة العثمانية، فأنشأ في سبيل ذلك دار الوثائق والمخطوطات التاريخية بمنزله وأسس متحف سكنو للآثار وترأس مجلس إدارة مركز التراث الصكتي، كما جمع وحقق الكثير من آثار أسلافه في هذه الدولة وأرخ لحركة الدولة نشوءًا وارتقاءً وتدهورًا مخلفًا في ذلك عشرات الآثار منها:

متحف الإخوان بما أتى في الكشف والبيان.

مورد الظمان بذكر بعض خواص جماعة الشيخ عثمان.

تحفة الإخوان ببعض ما لشيخنا عثمان من الكرامات.

روائح الأزهار من روض الجنان في نظم تاريخ الشيخ عثمان.

● إدراك الأمل في التنويه بقرية طغل.

● عرف الريحان.

● تعليق وجيز.

● تأنيس الأحباء بذكر أمراء غند.

● التحفة السنوية في تعريف سكنو البهية.

● تنشيط الزائرين لمزار أمير المؤمنين محمد بلو.

● تعريب قصيدة التوسل بأولياء الله.

● ضبط المتنقطات.

2. تقعيد اللغة الفلانية، حيث تجشم في ذلك من المتاعب الشيء الكثير، وهجر المدن وجاور البدو يستنطقهم اللغة على نقائها على نهج الواضعين والمنظرين والمعجميين العرب، وكان من نتائج هذه السياحة توصله إلى تقعيد اللغة الفلانية مستعيناً بذخيرته اللغوية في العربية، وأصدر في ذلك أبحاثاً منها كتاباه عقد المرجان على لغة الفلان وتمرين الأذهان على لغة الفلان.

ولسبب هذه الجهود العلمية والأدوار الخطيرة التي قام بها الوزير نال أوسمة فخرية من السنغال والمغرب وليبيا كما منحته جامعة أحمد بلو دكتوراه فخرية في الآداب والثقافة عام 1975.

وقد قام الوزير بزيارات رسمية وعلمية إلى مختلف الدول، فزار السودان ومصر وليبيا والمغرب العربي والأردن والعراق والقدس والنيجر والسنغال وغينيا، وكان يحل هذه البقاع بعقل المكتشف وقلب الأديب وليس مجرد سائح عابر، فحلف لنا رحلات ممتعة نثراً ونظماً، ومن جملتها:

● النفخة الزكية عن الرياض الحجازية.

● رحلة أغدس.

● الرحلة الفاخرة إلى ليبيا والسودان والقاهرة.

● تفريح النفس بذكر زيارة العراق والقدس.

● إتحاف الحاضر بهرائي المسافر.

وفي يوم الخميس الفاتح لرمضان المبارك عام 1417هـ المصادف للتاسع من يناير عام 1997م وافت المنية هذا الشاعر المجيد الذي قل له مثل في تاريخ نيجيريا الأدبي، ويعد هذا التاريخ مبتوراً مشلولاً إذا لم يكن الوزير جنيد من عناوينه البارزة، مخلفاً وراءه أبناء بارزين في ميادين الأدب والتربية

نموذج من شعر الوزير جنيد

قال في ذكر الخرطوم ومدحها ووصف الطائرة التي أقلته إليها:

يا من يصعد أنفاسا بأنفاس
شوقا لخرطوم ذات الورد والآس
اصبر قليلا فإننا سوف تحملنا
رعادة في الهوى مملومة الراس
صعّادة تتبارى في تجادلها
شهب السماء التي ترمي بأقباس
طيارة صوتها عال مخوفة
زملكها كذوايي الشاهق الراس
أنانة في نزول عندما بلغت
إلى المحطة تمشي مشي مياس
مملوءة بكراسي مليئة
بالخيش تلبس ترويجا لجلّاس
تنقاد طائعة في كف سائقها
كداية ذلت في كف سؤاس
فأعجب لها إنها عنقاء مغربة
جاءت تذكر عباس بن فرناس
بين الجناحين منها نيظ مروحة
تدور من حولها من غير إنكاس
تعطي الدخان وتتهى عن تعاملنا
به عليها فهذا خلف مقياس
ولا تزال بنا في الجوطائرة
نشيم ضوء القرى من ضوء نبراس
حتى تنوح على الخرطوم في غلس
والقوم ما بين سهّاد ونعّاس
ينسى الغريب بها أوطانه أبدا
من حلّها لهوى أوطانه ناس
أبشر فإنك في الخرطوم فابتهجن
أما شممت من الكافور والآس
ففيها بسلام طيب عبق
قل عم صباحًا لمن فيها من الناس
طيب وموردها أحلى من الكاس
هواؤها فاق مسكا والبنفسج في

فلا تقل بعد أن صادفت بقعتها هل في بكاء نازح الأوطان من باس
أبشر فإنك فيها اليوم في دعة وفي سرور وفي عزٍّ وإيناس

وله أيضا في مدح أمير المؤمنين الحسن بن معاذ:

تطاول ليلى واستكرت وساوسي وفاضت على صدري بحور المدامع
وعزّ رقادي ثم هاجت بلابلي وإن نام جيراني فليست بهاجع
وبتُّ أراعي النجم في غيب الدجى أشير إليه مرة بالأصابع
وصرتُ أمّي الصبح حتى كأتني أييت على جمر من النار لازع
إلى أن بدى وجه الصباح كأنما محيا أمير ذي الأيادي الهوامع
أميرٌ له في كل فعل محامد وأخلاقه فاقت عسولا لراضع
سخي يحاكيه السحاب وضيره عميم لجمع الناس دان وشاسع
حييٌ حلیم ليس فيه نخوة عطوف أمين القلب ليس بخداع
لذا كان مشتقا من الحسن اسمه ولا غرو أن أمسى كريم الطبايع
وشاع جميل الذكر منه وأذعنت إلى ذكره الأحلى جميع المسامع
وأصبح كل الناس يرجو بقاءه مع الخير دوّمًا وهو أعلى المنافع
لقد فرحت هذي البلاد جميعها بأخذكها يا خير راع ودافع
وزادت حلاها وأطمئنت كأنها عروس إلى كفو تزفُّ وشافع
وأمتها من كل ظلم يشينها بعدلك حتى فرّ ذيب البلاقع
أيا سيدي يا ابن الكرام الأماجد وقاك إله العرش من كل فاجع

وأبقيك في ظل الخلافة آمنة
ونجّاك من شر البغاة جميعهم
وأعطاك ربي كل خير تريده
صلاة وتسليم على خير مرسل

مصوناً بحسن الله من كل واقع
ومن كل ذي عيب خفي وذائع
من الدين والدنيا وكل المنافع
وآل وأصحاب له ثم تابع

الشيخ محمد الناصر كبر

1912- 1996

هو محمد الناصر بن محمد المختار بن محمد الناصر بن محمد ميزوري بن الشيخ عمر الشهير بمالم كبر، ينتهي نسبه من جهة الأب إلى الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما.

ولد على الأرجح عام 1912م بـجـي "غرنكاوا" في مدينة كـنـو، توفي والده وهو في السادس من عمره فنشأ في كفالة خاله ومربيه الأكبر الشيخ إبراهيم "نظغني" الذي لعب دورًا بارزًا في توجيه حياة الشيخ محمد الناصر وأورثه الكثير من علومه وأحواله.

وقد بدأ ولعه البالغ بالعلم وفرط ذكائه منذ نعومة أظفاره بما يبني بإشراق مستقبله، ما لفت أنظار أساتذته إليه فاعتنوا به اعتناء خاصا.

بعد ختم القرآن الكريم في مدرسة مالم محمد "سورون طنك" شمر عن ساق الجد وأخذ يطوف على مختلف المعاهد العلمية الكبيرة في كـنـو ينهل من معينها وكان يدرس ثلاثين كتابا في اليوم لدى علماء متفنين في معاهد متفرقة، ومن جملة المعاهد التي كان يرتادها:

● معهد الشيخ مالم ثاني إمام الجامع الكبير.

● معهد القاضي إبراهيم ياكاسي.

دار قاضي "بتشي" الحاج مصطفى كوراوا.

منزل مالم عبد الكريم سابو في حارة ثروماوا.

● منزل إمام الزاوية المعلم إنوا في حارة سنكا.

كل هؤلاء إلى جانب أستاذه الأكبر الشيخ إبراهيم "نظغني" الذي كان يراجع عليه الكثير مما يأخذ عن غير واحد من العلماء. وقد أخذ عن هؤلاء الأساتذة كل الفنون العلمية التي تدرس في معاهد كـنـو في تلك الحقبة حتى تبحر في

جميعها وصار ممن يشار إليه بالبنان ويؤمه طلاب العلم من كل صوب وحذب للأخذ عنه والتلمذ عليه ولما يبلغ عمر الثلاثين.

وكان الشيخ من أشد علماء عصره توسعا في الإطلاع، واسع الصدر في قبول المستجدات ما لم تمس شيئا من ثوابت الدين. قَبِلَ أن يترأس مدرسة الشريعة في الوقت الذي ينظر إليها الكثير من العلماء المعاصرين له نظرة تريب وازدراء، ويفتي الحجة منهم بعدم جواز الالتحاق بها، بل لقد بالغ بعضهم فكفَّر كل من التحق بها.

وفي عام 1958 أسس مدرسة إسلامية لتكون أول مدرسة إسلامية حديثة تنشأ على هذا الغرار في كَنُو.

وقد قام الشيخ بجهود جبارة في دعوة غير المسلمين، فاعتنق الإسلام على يديه وبفضل دعوته خلق كثير جماعات وفرادى. وبعد بحق مجدد الطريقة القادرية في غرب إفريقيا، فبعد أن لم يبق للطريقة إلا زاوية واحدة أسس بجهده الفردي آلاف الزوايا في نيجيريا وخارجها حتى لقد قلَّده سلطان صكتو أبوبكر الثالث إمارة جيش الشيخ عثمان بن فودي القادري اعترافا بجهوده في إحياء ما اندثر من تراث الشيخ عثمان.

أثنى عليه علماء العالم الإسلامي لمواقفه الإسلامية العظيمة، ومن أجلّ ثناء العلماء عليه قول شيخ الإسلام الشيخ إبراهيم انياس الكولخي في رحلته الحجازية الثانية، وهو بصدد الحديث عن علماء مدينة كَنُو:

كذاك الناصر الزعيم القادري وهو محبي مخلصا وناصري

ومن أثنوا عليه ونوهوا بعظيم مكانته العلامة المحقق المؤرخ الوزير جنيد في رسالة كتبها إليه عام 1946 وضمنها الأبيات الآتية:

إلى ناصر المحبوب أَلْف تحية وألف سلام عاطرات مع العطر

حبيبي وأستاذي العليم وصفوتي ولست بناس ذكره غاية الدهر

جزاك إله العرش خيرا ونعمة ورقاك في درج المراقى التي تدري

وأعني مراقى الأولياء أولي النهى كما كنت تقفو في خطاهم على أثر

ولا تنس مع طول الليالي بصحبتى ولا تنسني في دعوة وقت السحر

أما دوره في تنشيط الحركة الأدبية من كنو وفي نيجيريا عامة فحَدَّث ولا حرج، فما كان يدخر وسعًا في المشاركة في كل اللقاءات الأدبية والفكرية التي يدعى إليها كما تخرج عليه كوكبة من أساتذة الجامعة الذين ساهموا في تطور الثقافة العربية في نيجيريا. وعلاوة على ذلك فقد كان ممن يشنفون آذان الحاضرين بروائعهم كلما زار المدينة زائر من الكبار، ومن ذلك نونيته في مدح شيخ الإسلام الشيخ إبراهيم انياس الكولخي ومنها:

ناحت مطوقة من فوق أغصان	فهاج ذلك أشجاني وأشجاني
باتت تذكّرني ليل الوصال وما	أن ذكرونيه إلا طالت أحزاني
عهدًا لبيت به ذكر الإله كما	يرضى الإله بإسرار وإعلان
عهدًا كأن به من سوخ زاوية	بكولح الفيض ذات العز والشان
قد شاد بنائها المرصوص سيدها	مدير كاساتها للقاص والداي
فخر الزمان أبو إسحاق من خفتت	راياته فوق بهدام وكيوان
فيا سعادتنا من يوم شربتنا	بقس حانتها شماسها الفاني
العارف الغارف الغوّاص في الجب الـ	عرفان فيّاض أنوار وعرفان
ذاك الإمام الهمام الفارس البطل الـ	دراكة الألمي الوارث الباني
المجد أعطاكه مولاك من أزل	فأفخر بأنك أنت الواحد الثاني
قد عمّ صينتك آفاق البلاد كما	قد عمّ نورك هذا كل إنسان
ألست توصل أقوامًا وترقيهم	إلى حقائق إيمان وإحسان
كم ازدهى كأسك السكّير حين جلا	شرابه الحلو من سقائه الحاني
فلتسقنيه فإني منه في أرب	واسكب عزاليه في ساحات قيعاني
أنا ابن عمك فاسكب لي على عجل	فاليوم يومك والتجاني تيجاني

أعطاك ربك ما لم يعطه أحدًا يا فيضة دونما كيل وميزان
لو أن كنو درت ما حلّ ساحتها خرّت سجودًا وطارت فوق كيوان
ياسيد الحان سقيا يشتني خلدي ويرتوي كبدي يا سيد الحان
خير الكلام كلام الخير أنسجه في مدحه فبري فيهِ عنواني
إن نال لفظي في أمداحه هدفا فما عليّ إذا لم يقو بنياني
في مدحه غرر الألفاظ قاطبة إذ يستوي باقل فيها بسحبان
أبوك أحمد والجيلان عمك وال مختار جدك فافخر كل إنسان

هذا، وقد جادت قريحة الشيخ بمؤلفات ربت على مائة وثمانين يسيل قلمه في بعضها فتبلغ بضعة مجلدات وتنحصر أخرى خلال رسائل قصار، تناول في هذه المؤلفات مختلف الفنون الإسلامية يتصدرها التصوف الإسلامي.

زار الشيخ معظم الدول العربية والإسلامية وبعض الدول الغربية، وشارك في مختلف المؤتمرات المحلية والدولية، وله دور بارز في شتى اللجان الإسلامية المحلية والدولية تأسيسا وعضوية، ومن جملة المهام التي تولاه:

المستشار الشرعي بالمحكمة الشرعية الشامية.

- عضو مجلس كبار العلماء النيجيري.
- عضو المجلس القضائي لأمير كنو عبد الله بايرو.
- عضو مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة.
- عضو مجلس أمناء جامعة صدام حسين للعلوم الإسلامية بالعراق.
- عضو بالمؤتمر الشعبي الإسلامي بالعراق.

● عضو لجنة القيادة الشعبية الإسلامية العالمية، ليبيا.

● رئيس جمعية وحدة الإسلام والحج في نيجيريا.

ويُعتبر الشيخ محمد الناصر كبير أحد رواد الشعر العربي النيجيري خلال القرن العشرين، جمع المتبولي شيخ كبير جزءًا كبيرًا من هذا الشعر، كما طُبع جزء منه في ديوان سبحات الأنوار من سبحات الأسرار الذي طبع أكثر من مرة احداها بدار الفكر في بيروت، وقد تغلب الشيخ في أكثر هذا الشعر على الكثير مما يعيب شعر معاصريه من مآخذ إيقاعية ناشبة عن تحطيم الموازين الصرفية غالبًا والانحراف عن النمط العروضي والتقوي أحيانًا.

وتحتوي المجموعتان على مئات القصائد جلها من الشعر الصوفي، يسترسل أحيانًا فتزيد القصيدة على مائة بيت مثل بائنته التي مطلعها:

يا رسول الله خذ بيدي وتداركني فأنت أي

التي تتألف من 155 بيتًا، وتقتصر أحيانًا فلا تتعدى بيتًا واحدًا مثل قوله في الشهود الصوفي:

دعوني أستجليه في كل ذرة فدرات هذا الكون باب لقاءه

وفي شعره قدر كبير من الأراجيز في السيرة وآداب الطريق وذكر رجال أسانيد وغير ذلك.

ويتسم شعر الشيخ محمد الناصر بحسن استغلال الإيقاع في توجيه المسار الدلالي للقصيدة، ويتجلى التكرار بصورة مكثفة من بين أيقونات الإيقاع الداخلي.

وبعد حياة حافلة بالعطاء الديني والفكري انتقل الشيخ إلى الرفيق الأعلى يوم الأحد السادس من شهر أكتوبر عام 1996 خلفًا وراءه أبناء وحفدة واصلوا هذا المد الإسلامي الذي أسسه رحمه الله ورضي عنه.

نماذج من شعره:

قال في المواجحة الشريفة بالحرم النبوي عام 1386هـ:

يا خير خلق الله جئتكَ قاصدًا يا نقطة في فيضة الفهَّار

يا نقطة في القلب إنك ساكن
أهدي السلام إليك يا خير الورى
فإذا أتيت إلى المدينة مرة
فلتقبل الخطأ واغفر ذنبه
إن الذين يباعدونك إنما
سرُّ الإله وهو أنت وأنت هو
الخالق خلق في صنوف مقامهم
وجدى يربنى كل دار داره
لم تنحصر بديار طيبة ذاته
يا أشرف الكونين أشرف كائن
يا مظهر الأوصاف يا مجلى السُّما
يا عنصر الألوان يا علم الهدى
يا كعبة البئاء يا ركن التقى
أمن عليَّ بجذبة وفتوة
وأقرَّ عيني في بنِّي وعترتي
واسلك بنا سبل الهداية والتقى
وانهج بنا والمسلمين جميعهم
يا من يلبي الزائرين لذاته
في حرِّ قلبي يا قريب الدار
من سرِّ أسراري ومن إجمار
فلكم أتيت القلب ألف مرار
واجعله مجلى إسمك الغفار
فيما يقول يباعدون الباري
في الذوق لا في أحرف الأسطار
والحق حق لم يكن بالطار
فديار طيبة عرضة الزوار
فبكل دار طيبة المختار
جسد الوجود ومحور الأدوار
مجلى سداجة ذاته المعطار
يا منبع الأسرار في الأسرار
يا قدوة الأبرار والأخيار
لم تجر من فكرٍ من الأفكار
وأحبتى في ذي وتلك الدار
والبر في الإسرار والإجمار
نهج السعادة يا حبيب الباري
في أيما قطر من الأقطار

أجبن سلامي في صلاتي زائر
وإلى ضجيعيك الكرام ومن هوى
وإلى جميع الصالحين وزكنا
وقال رحمه الله في القلب:

القلب أنفس شيء أنت مالكة
القلب بيت تجلّى فيه خالقه
وكن غيورًا على مولاك لا تدعن
الحق إن تره يومًا سواه يجلّ
وليس من جوهر في الجسم أو عرض
يرى خواطرك اللاتي تطوف به
يدعوك ربك أن تخلو به أبدا
ها أنت تدخل وغلاكل طارقة
تظن أن شياه القلب ليس لها
أقبل عليه ولازم بابه فعسى
واجعلك بين يديه نصب منظره
جعلت جسمي دارًا والمنى كُتبا
لا أستبيح لشخص أن يرى كتبي
وأستعين على الوعّال بالملك الـ

لعلاك دون معاشر الزوار
روض البقيع وسائر الأمصار
يا رب واحشرنا مع الأطهار

فاحرسه علّك يومًا تسكن الغابا
فكن على الباب حجّابا وبوّابا
إلا بإذنك غيرًا يقرب البابا
عن الحمى وبعيدًا أن يُرى آبا
إلا وكان عليه الحق رقّابا
خيرًا وشرًا وترغيبًا وإرهابا
ولا تكون ديوثًا ليس محجابا
عليه أئى ترى التوّاب توّابا
راع سواك وأن الحق قد غابا
يكسوك من حلل التوفيق جلبابا
من ظن أن غاب عن موله قد خابا
وساحة القلب صندوقا ودولابا
إلا لمن يُصلح الصندوق والبابا
تقهار حتى أراني أسكن الغابا

وقال في الإشارات الصوفية رامزًا ببناء الحرف الذي أشار إليه ابن مالك في ألفيته:

إِنِّنا رَبِّ بِناء مُحْكَمًا	إِنِّنا يا رَبِّ أَصلٌ في البِنا
نَحْنُ حِرفِ فاحِكمِن ما شئتُ من	فَتَحنا أو كسَرنا أو ضَمَّنا
فَتَحكُ اللهُم نرِجو وإِذا	جَدتُ بالكسِر فهِذا جِبرِنا
وَإِذا جَدتُ بضمِّ بَعده	فَلِك الشِكرِ حِيبا ضَمَّنا
وَإِذا سَكَّنتُنا من بَعْدِ ذَا	فَكِما سَكَّنتُنا حَرَّكُنتُنا
نَحْنُ حِرفِ يَفْعَلُ المولى بِنَا	ما يَشِا من رَفَعنا أو خَفَضنا
إِنِّما نَحْنُ حِروفِ كَلِّنا	عِالياتِ مَسْتَجادِ سَبِكنا
عِينا ثابِتةٌ في عِينه	قَبْل عِينِ العِينِ كانَتْ عِينا
لا تَحِلُّ يوسُفُ أنِّي فِلسِفي	إِنِّما جِيلي الهوى يَعْفو بِنَا
كَن كَموسى إِنْ تَرَم ما قَلتُه	طالِبًا لَمَّا تَوَضَّى مَدِينا
إِنْ تَسَل عِني فإِنِّي حِرفُه	مُحَكِّمِ السَبِكِ وإِلا من أَنا
كَنوي الشِكلِ في نَسحَةِ كَن	تَحذُ الأذْكارِ قَدَمًا دِيدِنا
أَضْرَبُ البِنْدِيرِ أحيانًا إِذا	زَمِزِمِ الحادِى وَعَتَّى بِاسمِنا
رَبِّمًا أَذْكَرُ بِالأَنفاسِ إِذْ	رَوَّقِ الساقِى إِلينا كَأَسِنا
أَبْذَلُ الطاقَةِ في طاعاتِه	طالِبِ العِصْمَةِ من فَضْلِ الحِنا
إِنْ جاموسِ وِجا مِوسا كِما	بارِ جاسوسا تَبَدَّى عِندِنا
نَظَمنا قَد راقِ مِناه كِما	راقِ حِسانِرقِ مَعنى نَظَمنا

وحدك اللهم سبحانه يا
صلِّ يا ربِّ وسلِّم أبداً
وعلى آل وأصحاب ومن
وقال في الجناب النبوي:

غرَّني الحلم غرَّني العفوبل قد
أنا كلب لكهف طه قعيد
وإذا لم أكنه فلتخدعن لي
وطريقي إليك فضلك والرا
حيهل طه عن قريب صراحاً
صرخة كانوية من صرخ
لم يزل ينكح الثريا سهيلا
بخ إن المختار يعرف مقصو
لا أبالي إذا تجلى لديه
فسواء لديه كل لسان
ربنا إلاك لا منجا لنا
لحيب الله معنى حرفنا
يقتفيهم ربِّ ما الحرف ابتنا

مصادر الترجمة:

كبر د. شيخ أحمد، الشعر الصوفي في نيجيريا.

كبر، المتبولي شيخ "شعر الشيخ محمد الناصر كبر جمعه وترتيبه حسب موضوعه" بحث علمي للحصول على درجة الليسانس في اللغة العربية، قسم اللغة العربية، جامعة بايرو، كنو. 1994.

كبر، الشيخ محمد الناصر، سبحات الأنوار من سبحات الأسرار، دون مطبعة ولا تاريخ.

- مقري، إبراهيم أحمد، الإيقاع الداخلي وتشكيل الصورة في قصيدة رحيق الحضرتين للشيخ محمد الناصر كبر.

الشيخ أبوبكر المسكين

-1917-

هو أبوبكر بن أحمد البرناوي بن ميدغو كياري بن محمد مينه يوبو بن ماي علي بن ماي حاج عمر بن ماي دونمه بن ماي علي بن ماي عمي بن ماي إدريس ألوما من سلالة سيف بن ذي يزن، وأمه فاطمة بنت الماهر محمد مسابي بن الماهر أحمد علي.

ولد فجر التاسع من شهر ربيع أول عام 1337-1917م على الأشهر بحارة هوساري زنغو بمدينة ميدغري نيجيريا، وقد نشأ في بيت علم وسلطنة، فأجداده حكموا إمبراطورية كانم برنو منذ تأسيسها حتى جده الثاني محمد مينه الذي جمع بين العلم والملك مثل أكثر أفراد هذه السلالة، ولمحمد مينه المذكور كتاب في علم الإدارة.

وكان والد الشاعر عالماً جليلاً وحافظاً للقرآن الكريم زار الكثير من البلدان الإفريقية والعربية في طلب العلم واستوطن يرو (ميدغري) أول إنشائها وذاعت بها صيته وقصده طلاب العلم من كل صوب وحذب، فتفتحت عينا الشاعر في مثل هذه البيئة التي ليس لفتور الهمم مكان في قاموس حياتها فشمّر عن ساق الجد للتحصيل من نشأته، وبان فرط ذكائه حيث استطاع أن يكمل حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب وهو دون العاشرة من عمره. وذلك لدى أستاذه الأول، بعد والده، الماهر محمد الحاج الكانيمي.

واصل حياته العلمية بعد ذلك بالتجول على علماء برنو فأخذ عن كلِّ من الشيخ القاضي تجاني جباني والشيخ إسماعيل عبد الله والشيخ بلام كورا الذين درس عليهم كل العلوم الإسلامية التي تدرس في منطقة برنو في تلك الآونة. ثم بعد ذلك تآقت نفسه إلى التزود في العلم فارتحل إلى شمال الكامرون مستفيداً ومفيداً، وأخذ عن بعض مشاهير علماء تلك الناحية ثم التحق بعد ذلك بمدرسة الغوني محمد الأمين في تشاد فأخذ عنه، من جملة ما أخذ، مبادئ التصوف فعقد العزم على التبحر في علوم القوم واختار الشيخ آدم الدمغراوي بالنيجر للنهل من معينه وأخذ عنه بالفعل فقهي الظاهر والباطن واستفاد منه استفادة كبيرة، واتصل كذلك بالعارف بالله العلامة الشيخ محمد الحافظ المصري التجاني واستفاد منه ومن الشيخ محمد الحريري في بيروت وكذلك من الأستاذ محمد التائد في فلسطين، ومن علماء أفذاذ آخرين في أنحاء العالمين العربي والإفريقي.

وفور عودته من رحلاته العلمية واستقراره في يرو افتتح معهده العلمي فرزق القبول وتتلذذ عليه خلق كثير وتفرعت هذه المدرسة فروعاً عدة داخل وخارج حدود نيجيريا، كما استطاع أن يؤسس مدارس نظامية إسلامية كثيرة في برنو وغيرها. وقد قام بدور كبير في نشر الطريقة التجانية مساعداً لفضيلة الشيخ أحمد أبي الفتح اليرواوي حتى لقب بمحامي الفيضة التجانية لدوره البارز في الدفاع عن التجانية في نيجيريا والدول المجاورة.

ومن جملة المناصب والمهام التي تولاها الشيخ المسكين بعد أن استقرت به الحال في ميدغري ما يلي:

- ممثل العلماء في هيئة الشؤون الاجتماعية لبلدية برنو عام 1948م
- عضو لجنة الفقهاء لفحص أحكام القضاء في برنو عام 1951
- قاضي بالمحكمة الشرعية العليا في برنو 1957-1967
- عضو اللجنة الإسلامية لشمال نيجيريا، كدونا 1960
- رئيس مجلس إدارة المكتبة الأهلية في برنو
- ناظر المدارس الإسلامية العالية ببرنو 1977
- رئيس لجنة رعاية الحجاج لولاية برنو 1979
- رئيس مجلس إدارة كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية برنو 1989
- عضو مجلس إدارة جامعة ميدغري 1985

هذا وقد شارك في وفود رسمية مختلفة ممثلاً لحكومة نيجيريا أو مدعواً من إحدى دول الجوار مثل عضويته في الوفد الحكومي إلى المملكة السعودية للمشاركة في فعاليات افتتاح مكتب رعاية شؤون الحجاج النيجيريين عام 1957 ورافق السيد أحمد بلو سردونا في رحلته لافتتاح المسجد الأقصى، كما دعي من حكومة النيجر للمشاركة في إخماد نيران

الفتنة الدينية عام 1974، ودعي من طرف حكومة تشاد لمهمة مماثلة عامي 1975 و 1995م وقد كانت جهوده تكفل بالنجاح.

ويعيش الشيخ حاليا بزوايته العامرة في حي شيهوري بميدغري يواصل عطاءه التربوي والتعليمي موفور الصحة وقد ناهز من العمر مائة، رزق بعشرات الأبناء أكبرهم البروفيسور تجاني المسكين أحد أشهر أساتذة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا.

وفيما يتعلق بشعر الشيخ المسكين، فقد نظم الشعر في أغراض عدة، فله قصائد رائعة في المديح والهجاء والوصف، أما الحكم والأمثال فهو جديلا المحكك وفارس ميدانها حيث ذاعت صيت كتابه "جامع الأمثال والحكم الفاتحة المثل" وملأت الآفاق، وهي رائعة حقا، منها:

إذا هفا أخوك فاعف عنه أو قطع الجبل فأوصلنه

وقد يكون للحسام نبوة كما يكون للجواد كبوة

ولا تمدنَّ إلى المعالي يدا تقاصرت عن النوال

فجوعن كلبك يتبعك ولا تسمِّنه فيبتلعك

عليك بالجار قبيل الدار قد يؤخذ الجار بذنب الجار

ومنها:

إذا رأيت عبرةً فاعتبر وإنما الدهر وعاء العبر

صنائع المعروف لله تقي مصارع السوء لكل متقي

أفضل كنز ورث الرجال بينهم الآداب والأعمال

تفنى الدنانير ويبقى الأدب نعم الطباع ثم نعم الحشب

لا يعرف الشوق سوى من كبده ولا صباة سوى من شاهده

من جمع المال لنفع الناس أطاعه الناس بلا التباس
وكل شعر الشيخ المسكين يدور في الفلك الصوفي على دأب الشيوخ من شعراء نيجيريا.

نموذج من شعره

قال في قصيدته المحجة البيضاء في مدح سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم:

محمد قل معناه مثني عليه ما
له غير هذا من معاني الحقيقة
صلاة وتسليم عليه وآله
بعضمة رب العبد في كل لحظة
وماذا على خلأق كل خليفة
عزيزا تعالى الله عن كل علة
هو العبد كل العبد حقا ولم يكن
لربي عبد غير محموده اثبت
فإن قلم أين البرية كلها
يقل لكم المسكين أصغوا لقولتي
وكل البرايا إن رأيتم حقيقة
تري الكل وصف العبد فيه تجلّت
وإني أرى الذكر الحكيم جميعه
ثناء على ذا العبد حقق وأنصت
وقبلية الذكر الحكيم تبينت
بما في (كتبنا في الزبور) فدن بتي
وأول ما جاءته من عند ربه
كسورة (اقرأ باسم ربك) والتي
وأولى من (اقرأ باسم ربك) آية
تبين بونا بين خلق وخلقته
وبدأ خلقا للإناسي من سلا
لة ثم من طي لغاية نطفة
وما قيّد الرحمن خلق محمد
بشيء ولكن غيره من كعلقة
وقال له (اقرأ وربك الأكرم)
فأكرمه عليه قيل الخليفة
وأردف ربّ العبد(علمّ بالقلم)
لما شاءه من نشر تلك الطوية

ثناءً عليه قل وما عينه التي
حملائك) أما الروح فاسمع فتوتي
فيذكر باسم الروح من دون حجة
فأين له من حجة أو أدلة
لقلتم يا إخوتي وأحبي
وما لبيان الذكر من ذي لنادة
وما بعد قول الحق غير المضلة
تضلك أقوال فتلقى لفتنة
به نصره للمؤمنين الأجلة
على عرشه في يوم حشر وبعثه
هو الرحمة العظمى لكل برية
نفت عنه تنساب البرايا بجملة
بلا أي تقييد وأية وقفة
أتم له توحيد بالعبودة
بمطلقة التسليم في كل وقعة
ولا خلق إلا ملكه بالسوية
بها من عصا للعبد أمرًا كذرة
وقودًا لنار الله سوء المهيدة

فإن قلتم في ليلة القدر أنزلنا
وفي ليلة القدر العظيم (تنزل ال
وما سلَّ جبرائيل ضمن الملائك
وإن يك بعض السالفين يقول ذا
ألم يأتكم في الذكر ما كان شافيا
أجل جا (عن الروح قل الروح) بين
وما الروح إلا الأمر والأمر بين
هو العبد وهو الروح يا صاح لا تكن
هو الأمر من قبل ومن بعد إنه
هو الفرد الأعلى الجليس لربه
فيشفع في أهل الكبائر إنه
وناهيك (ما كان محمد) آية
كذاك (وما أتاكم) زد (ومن يطع)
(وربك) قول شاهد إن ربه
وفي جملة مما قضيت كفاية
وملكه الخلاق كل خليفة
فأنظر إلى ما في السماوات هل ترى
كذا في تخوم الأرض إلا الذي غدا

ولكنَّ شأنَ الملكِ لم يدركه
فإن قاتمَ غاليتِ قلتِ فلا ولا
تبيِّنُ هوَ الذكرَ الرسولَ المنزَّلَ
وجاهرَ هوَ النورَ السراجَ المنزَّلَ
هو العبدُ وهو الروحُ والأمرُ والسراجُ
ولا تقفِ ما لم تلقِ أسنى دلالة
فدعوته لليُوح بعد غروبها
كذلك انشقاقِ البدر يشهدُ إنه
ألا فاذكرِ السحبِ السواري تظلمت
ألا فاذكرِ الأرضَ البسيطة إذ غدت
هو الروحُ وهو الأمرُ مأمور ربه
مصيرُ الأمور كلها ومعادها
ولم يأتِ (عبد الله) أو نحو (عبدنا)
ومن غيره قل جاء جمعا وجملة
وفي غيره إن ما رأيت فنادر
كما في ابنِ إيشا (عبدنا) جاء نادراً
ولله أمرٌ فوق علم الخليفة
فذا قطرة من بحر تلك الذخيرة
نعم وعليه الذكر أنزل واقنت
فقل وعليه النور أنزل تثبت
والنور والذكر الرسول تثبتت
عليه فتشقى في الخنا والمذلة
إلى وقت عصر اليوم فاعظم بدعوة
رسول من المولى إلى كل أمة
على العبد من حرِّ مرور الهجيرة
تطيع بأمر العبد في يوم هجرة
ومن نوره كل الأمور تبدت
إلى رب هذا العبد مبدي الخليفة
لغير الرسول الأمر في الذكر فاثبت
كنحو (عبادي) أو (عباد) تثبتت
ولا تعتبر يا صاح حكم النذارة
لتذكيره للقوم أسرار دعوة

وتعرفه ما في السماوات كلها
وحسّاد جنّ الأرض والإنس إنما
ولو غبطوه في عبادة ربه
وماذا على من خصه الله ربّه
فباءوا من الله العزيز بسخطه
ولكنما الربُّ الغفور بفضله
فوحشنا في يوم غزوة أحدنا
ولم يدركه الملك والله ربنا
وأستغفر الله العظيم لما جرى
تعاليت ربّ الروح والأمربّ عن
أيا حاسدًا إن شئت عرفان قدره
تجد قدر عبد الله لا قدر قبله
محمد عبد الله فهو هدى الهدى
وناهيك علما أنه أصل كلنا
ولم يرض ربُّ العبد ذكرا لذاكرٍ
كذاك تشهّد العباد متى خلا
وكل رسول أو نبي على الهدى
وفي (الضحى والليل) يعطيك ربك
وما في تخوم الأرض عرفان جيرة
دعاهم إلى حسدٍ له سوء خطوة
لكان لهم خيرا بكل فضيلة
بكل منال الفضل من قبل نشأة
ومأواهم من بعد نار بسخطة
يتوب على من شاء بعد المضلة
فتاب عليه الله من بعد ظلمة
لني شأنه في كل يومٍ ولحظة
جميعا وما للخلق علم بجمالة
مقالات ظلّام وكل نقيصة
فإقرأ (الم نشرح) لآخر سورة
ولا بعده خلق يداني تثبتت
عليه جميع المهتدين استدلّت
ومن نوره كل البرايا تجلّت
إذا ما خلا عن ذكره قل **وبنت**
تشهّده فاحكم عليه بحسرة
ومن هديه كل الهداة استحدثت
فترضى عطاء غير مجذوذ غاية

فقال إذن لا أرض واحدة من أم تي في مجيم نعم رحمة أمة

فنسمي كثير الناس تصريف أحمد عليه صلاة الله في كل لمحة

هكذا إلى آخرها يستخرج بعض الإشارات الجليلة إلى مقداره صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم.

للإستزادة:

تجاني، عبد الله غوني، بحث علمي للحصول على درجة الدكتوراه في اللغة

العربية، جامعة بايرو كنو،

_____، أدب الرحلة عند الشيخ المسكين البرناوي، بحث تكميلي للحصول على درجة الماجستير

في اللغة العربية، جامعة بايرو كنو، 1996

مدي، حسن، شعر الشيخ أبي بكر المسكين في الأمثال والحكم دراسة تحليلية لكتاب جامع الأمثال والحكم الفائقة المثل،

بحث علمي للحصول على درجة الدكتوراه في اللغة العربية، جامعة بايرو كنو، 2002م

الشعلي، أحمد عبد الله، الشيخ أبوبكر بن أحمد البرناوي وإنتاجه في الشعر العربي، بحث علمي للحصول على درجة

الماجستير في اللغة العربية، جامعة ميدغري، 1994

القاضي عمر إبراهيم

1922- 1997

ولد القاضي عمر إبراهيم بن أحمد بن عمر الوالي في قرية (رشفا) التابعة لمدينة زاريا عام 1922 حيث كان والده يعمل حاكما على القرية، وقد كان هذا الوالد عالما جليلا تولى مناصب إدارية مختلفة في إمارة زاريا، أما جدُّه عمر الوالي فقد طبقت شهرته الآفاق ويُعد من أفاض علماء نيجيريا على مر العصور.

هكذا نشأ عمر إبراهيم في بيت علم وشرف وكانت بدايته العلمية بين يدي والده الذي اعتنى به عناية خاصة لكونه أكبر أولاده ولما ظهرت عليه منذ الصبا من أمارات التفوق وملامح العبقرية، والتحق بعد ذلك بالشيخ مآجي إسحاق الذي غاص به في يم العلوم الإسلامية، "ورغم أنه لم يُرسل أول الأمر إلى المدارس الحكومية إلا أنه استطاع أن يحضر مساقا من الدراسات الانجليزية المسائية بين عامي 1938-1939 اكتسب خلالها الشعلة التي أنارت له دياجير الثقافة الغربية فتشجع على سبر أغوارها" (راجي 1996: 6).

وفي السنة نفسها 1938 وجد قبولاً بمدرسة الشريعة كنو وتخرَّج فيها قاضيا سنة 1942م وبعد سنوات من العمل القضائي التحق بمعهد الإدارة سنة 1961 لتحصيل الدبلوم في القانون.

وقد تولى الشاعر مناصب قضائية مختلفة في المحاكم الشرعية بشمال نيجيريا حتى استقال أخيراً عام 1985 عن منصب قاضي المحكمة الإستئنافية. وقد عرف بالحزم ورفض الجور طوال حياته القضائية.

هذا، وقد زار مختلف الدول العالمية ما ساعد في توسيع ثقافته وتفتح ذهنه، ذهب إلى الولايات المتحدة وأسبانيا وبريطانيا، وزار كذلك مصر والسودان والمملكة العربية السعودية وغيرها من الدول العربية والغربية.

أما الشاعرية فقد بدأت ملامحها تظهر عليه ولا يزال في طور الصبا حتى لقد كتب أرجوزته الجيدة في السيرة النبوية (خصائص المختار) وهو في الرابع عشر من عمره، ثم ظل يكتب الشعر حتى أواخر حياته. تعرَّض في شعره لقضايا الفلسفة والفلك والابتكارات الحديثة، وتأثر كثيراً بأقطاب الأدب العالميين مثل شكسبير الذي كانت مجموعة أعماله كتابا مقدسا بالنسبة للقاضي عمر وتأثر كذلك ببارنارد شو وغيره من كبار الأدباء والفلاسفة والمكتشفين الذين زاملهم في مكتبته وتغنى بأجادهم في شعره، وتأثر كذلك ببعض الفلاسفة والأدباء العرب مثل عباس محمود العقاد وطه حسين وجل

شعراء النهضة الأدبية الحديثة. وقد جمع أشعاره في ديوان حافل عنوانه الوزير جنيد بجديقة الأزهار يقع في 254 صفحة من الحجم المتوسط. يقول أحد الباحثين النيجيريين في وصف شاعرية القاضي عمر في كلام ينطوي على شيء من المبالغة:

هو الشاعر النيجيري الوحيد الذي نحا بشعره منحى الحداثة بكل معاني الكلمة ولم يرض أن يكون فاقداً للإحساس جامد الطبع، بل تناول في شعره مدخرات الطبيعة لابن القرن العشرين من بدائع الآيات وروائع المضامين متأثراً في كل ذلك بأقطاب الأدب العالميين مثل شكسبير وبيناردشو. (راجي 1996: 7)

وإذا كانت صفة تستأثر دون غيرها بشعر القاضي عمر إبراهيم فهي الضجر مما حوله ما جعل التشاؤم يذهب بإبداعه كل مذهب، وتفسير ذلك بسيط، فقد حرم حنان الأم ولم ينف على الثلاثين يوماً من عمره إلا أنه وجد في جدته سودة نعم الأم الرؤوم، لكنها الأخرى فاجأتها المنية بعد أن استوى بشراً يستجمع القوة ليفي ببعض حقوق الأمومة، فبكاها أحر بكاء وأشجاء للعواطف ورثاها بسبع قصائد رائعة، ومما قال في رثائها:

يُذكرنيها كل ظهر ومغرب	ووقت قيام الليل أو أذنوا الفجرا
كذلك حين الوعظ إن قام واعظ	وإن حان وقت الورد إن حلت العصرا
تذكرنيها إستشارة عاقل	ووقت الندى والصدق أو نهىها النكرا
فكم كم يتيم جاءها متزعزعا	فقامت قيام الأم أو فوقه جھرا
فأنسته شوق الأم حتى كأنه	ليختارها لو قورن الأم والغرا
ويا أسفى من الليتامى وقد غدت	رهينة قبرٍ من يلي ذلك الوقرا
ولم أر نفسا تكره العار مثلها	وثبعده عنها كإبعادها الكفرا
ولو كانت الخنساء أختا لسودة	لما ذكرت في الشعر لو مرة صخرا

ثم نشبت الحرب العالمية الثانية وعمر في أزهى مراحل حياته، مرحلة التعلق بالحياة ورفض كل أصناف الموت، فإذا بنيران الحرب تشيع كالهواء في سهول العالم ومنعطفاته، تقتل الأفراد وتدمر الجماعات وتشرّد الأمم، فكانت هذه الحرب تهدّد أحلام الفتى عمر بالغروب وسط صائف النهار، يقول:

جار يعادي جاره وأخ يردي أخاه بقنبل ذري
لا الليل يمنع إن أراد ولا حرّ هجوم شقيقه البتر
الحرب تتلو إثر ما ذهبت فتدمر الأمصار بالجمر
بالبائرات وبالبنادق أو دبابة وبمدفع تجري
وبواخر وبما تغوص إلى عمق البحار مثيرة الشر
وقد اعتدت وطغت وما حكمت حكم المروءة في بني البشر
بقنابل ذرية وبها وإذا استمرّ نهاية الأمر
زر "هيروشيما" إذا مجدت تجد عينا أيديها بلا أثر
أو (ناغسك) تر النواطح قد صارت لسوء الحظ كالقفر

هذه الأحداث وما إليها أدت بالشاعر إلى استحقار الحياة فقال:

خصام في الحياة وفي الممات حياة الناس كبرى الكاديات
متى نظر اللييب العمر فيما يديل عرته محقرة الحياة

وقد حاول عمر تحرير شعره من الزخرفة اللفظية والأناقة الزائدة التي عُرف بها شعر البديعيين الذين على منوالهم سار أكثر إنتاج جيله، لكنه أيضا وقع في مزالق الانحطاط باللغة الشعرية من الإيجابية إلى التصريحية، كما كان يعتمد إلى التراكيب التي تعد راقية لو وردت في مقال صحفي وليس البيت الشعري. وأخيرا كان شعره كثيرا ما يحطم البنية الإيقاعية النمطية، والباعث العجمة.

وبعد مرض طويل انتقل عمر إلى رحمة الله تعالى سنة 1997 عن خمسة وسبعين عامًا مخلفًا وراءه ثماني بنات وابتًا واحدًا رحمه الله رحمته الواسعة.

نماذج من شعره

قال في مناسبة ذكرى مرور سنتين بوفاته طه حسين التي دعي إليها من طرف وزير الثقافة المصري:

أيا دمع قف لا ينفع الدم لو درَّ ولا يُرْجِع الحزنُ الكبيرَ إذا مرَّ
ولا يسمع الميثُ الدفين بكاءنا ولو صبَّ من مجراه ما يملأ البحرَا
ولو كان ذا عقل كبير كطاهنا وإن رَوَّض الآداب أنواعها طرَّا
وإن كان قهَّار الظلام بجهدِه وإن زينت أنوار أفكاره مصرَا
وإن نددت بالرأي منه **مجامع** وأطرب موسيقى مقالته الكُثْرَا
وطال صدى التصفيق بعد قيامه إذا ذرَّ في الآذان من فمه سحرَا
أيا موت ما هذا التنافس بيننا قد اخترت من أزرت محابره الدُّرَا
ومن حينما الآداب تطلب عمدة يقول جميع الناس طه بها أحرى
أفي عالم الأرواح ثمَّ مدارس يصير عميدًا ثمَّ يملأها نورَا
أفي برزخ الأموات عصرٌ كجاهلي وآدابه الأرواح لم تحسن الذكْرَا
ويأتي بألوان الحديث لأربعا ويغمرهم من فيض ما خطَّ ما درَّا
أثم وزاره للمعارف تبتغي لذلك نحريرًا لتوليه الأمرَا
وهل ثمَّ يونسكو تريد مديره فتأخذ شئبوبا ليسقيم مطرَا

أو ان المعرّي قد مللت سكوته
إذا لم يكن هذي ولا تلك فالذي
أتأخذ من لبّ الثمين نفيسه
عباقرة الدنيا قليلون إن ترم
جبابرة الدنيا الطغاة كثيرة
فما لك لا ترمي جباه جبار
ترج من الدنيا نعم وترجهم
أولئك أولى بالقبور فداءه
أو ان سهام الموت تخطئ قصده
فها هي قد مالت كثيرا وأسقطت
وها أنا ولهان وهل ثم مرشد
ألّقي إلى سوزان أو في مدارس
إلى شرقنا الأدنى إلى الشرق كله
إلى كل هذي بل إلى الارض كلها
وهذا عزائي أصغ لي السمع علّه
فإن صار طه في الثرى متغيبا
أتذكر أن العلم كالماء والهوا
ومعطيك علمًا حكّ كل مصيبة

فتسأله صوت العلاء الذي درّ
فعلت إذن يا موت أحسبه نكرا
فتصمته قهرا وتسكنه قبرا
يخنك ولا يعطيك ذا الدهر ذا الغمرا
إذا مطت جمّا تستحق به شكرا
بسهمك تلقيهم لطغيانهم قعرا
من الظلم والعدوان قدك به فخرا
تطيل به خيرا تزيل به ضيرا
فيرمي بها خيرا ويصمي بها ميرا
ذرى العلم من ذاك العلوّ الذي قرّ
أريد عزاءً ثم لم أدر ما سرّ
لتعزية أو بل أعزّي به مصرا
إلى عالم الإسلام أقطاره طرا
لأن ثمار العلم لا تعرف القطرا
يخفّف حزنا أو يعوّضه صبرا
فأثار طه بيننا طاول الدهرا
فصرّ لترى في مصر آياته الكبرى
وأبعد عنك الضرّ والذلّ والفقرا

وأقفل باب السجن أعطاك قوة
وأعطاك إكسيرًا ولا كالفلاسفه
ومدَّ إذا رمت التقدُّم سلِّمًا
ولم تلق صعْبًا لا ولا غير ممكن
لذلك نادى طه: العلم كالهوا
سيجزيه رب العالمين بما سعى
ويجعله ضمن الذين حياتهم
أفلتير مصر الحرِّ أدَّيت ما وجب
تصونك كالعدوان إن شمها فر
مفيدًا فغير كل عسرٍ به يُسرا
لترقى إلى ما شئت حتى إلى الشعرى
إذا العلم بالأنوار قد أرشد الفكر
تنشَّق صحيجا لا تصيب به ضرًّا
ويعطيه ما يرضى ويُضعفه أجرًا
أفادت جميع الناس ما ذهبت هدرا
عليك استرح لا لوم قط ولا وزرا

وقال متحننا إلى ميدغري وأهلها إثر بعثة عملية:

يهنيك يا يرو ما أحرزت من شرف
قوم شميلتهم إكرام ضيفهم
أزجي السلام إلى القوم الذين رعوا
وزيركم فاضل نعم الوزير تقبَّ
إني أخصك بالذكر الجميل نعم
فكأم بل إمام أي لمسجدم
لله دُرْك من صبر ومن رجل
هذي، إمام، تحياتي إليك كما
الله يعلم أني قد سررتُ بما
ومن رجال ذوي نُبل ذوي قدر
حتى يُرى أنه في الأهل لا السفر
ما قيل في الضيف مما جاء في الأثر
ل من قريضي سلامًا فائق العطر
فالفاضل البطل بالذكر الجميل حري
قد راقتي علمه المدرار بالدرر
إن الرجولة بالأخلاق والسير
جاء النسيم بعطر الزهر في السحر
لاقيته منكم يا أهل ميدغري

أخلاقكم لست أنساها متى ذكرت
يروا فإن لها في القلب من أثر
هذي الرسالة جاءت من كدونا لكي
تبليغ الشوق يرويين من عمر

وقال متأسفا من واقع بني البشر في عصره:

خصام في الحياة وفي الممات
حياة الناس كبرى الكاديات
متى نظر اللبيب العمر فيما
يديل عرته محقرة الحياة
ترى الأشياء تجري جزِي قطنٍ
هبِّ الرياح مختلف الجهات
بدون هدى ولا عقل رشيدٍ
إلى صوب الصواب ولا حداة
يميل إلى يمين أو شمالٍ
إلى صوب الصواب ولا حداة
إلى ماء إلى نار إلى ما
يؤول إلى المنافع أو أذاة
فلا الإحسان ينفع كل حين
ولا الإجرام يوذى المجرمات
كأن الكون جرمٌ لا يبالي
أسعيك سعي جرم أو هداة
يصوب الخير حيناً ثم شرّاً
بلا قصد يريد ولا التفات
يبيد المطر آفا بقاعاً
ويهجّر حرّ يبس الصحروات
ويحظى فاجزّ جاها وفخرّاً
ومالا والمنى قرن الثبات
وفاجأ بغتة شرّاً بريئاً
فلا مشكٍ ولا سمع الشكات
ويظلم محسن من غير ذنب
وينبو نوحه نحو النجاة
وكم من سائل ليزول بؤس
فيغمس في أشد المعضلات
وكان السمع من لطف ولين
ورفق سمع ذمية أو صناة

عليك بما جرت حجرات بستيل
تظن عيوننا في الوجه كما
ولكن بعد تفكير نراها
وما رأته الذي سيكون حتى
وماذا في الآكام فليس شيئاً
ومهما ضمه قد صار كان
ولا الأجسام تظهر الآن كما
ترى مليون عاماً مستحيلاً
يقتر لنا مقر العين فينا
كأحجار السباع الفاتكات
نقر لقاء هبط التهلكات
ترى طيف الحوادث ماضيات
يكون فلا سبيل إلى انفلات
إلى أن ضمه طوق الثبات
ولا حولٌ يحول كائنات
تراها الوقت جسم الجواهرات
بدون مرور **جسم الجواهرات**
فذل لا نرى غير الفوات

...إلح (حديقة الأزهار 197 / 204)

مصادر الترجمة

إبراهيم القاضي عمر، حديقة الأزهار، ديوان شعر، دم، الرباط 1960.

مقري، إبراهيم أحمد، "ملاحم التشاؤم في شعر القاضي عمر إبراهيم"، مقال منشور في مجلة قسم اللغات النيجيرية والافريقية، جامعة أحمد بلو العدد الثاني، 2004: 151-166

مقري، إبراهيم أحمد، تجليات الشخصيات التراثية في شعر القاضي عمر إبراهيم مقال منشور بمجلة اللسان، حولية جمعية مدرسي اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، العدد السادس، 2009: 139-149

Raji, M.G.A, "A modern Trend in Nigerian Arabic Literature: The Contribution of Umar Ibrahim" Ph.D Thesis, School for oriental and African Studies, University of London, 1986.

أحمد الرفاعي بن يحيى النفاخ

1980-1934

ولد الشاعر أحمد الرفاعي بن يحيى بن محمد النفاخ في محافظة منجبر التابعة لولاية كنو سنة 1934 لأبيه الشاعر العظيم السيد يحيى بن محمد النفاخ الذي سبقت ترجمته. فكان الحظ حليفه حيث نشأ في دار علم وأدب وصلاح فاعتنى به والده وغذاه بمعارفه ورواه بعلومه.

انتقلت أسرته إلى دواكن كُدو وهو في السادس من عمره وهناك التحق بالمدرسة الابتدائية الحكومية وهو في التاسع من عمره، وبعد إكمالها واصل المرحلة الإعدادية بحي (طن أغندي) في مدينة كنو، ولسبب تفوقه وتوقد ذهنه استطاع أن يتخرج فيها خلال أربع سنوات بدلا من خمس، وبعدها التحق بمدرسة العلوم العربية التي تخرج فيها سنة 1956.

وقد انخرط في مهنة التدريس فور تخرجه وترقى بسرعة حتى تولى منصب نائب العميد بإحدى المدارس الإعدادية في محافظة (ودل) قبل أن يكمل سنتين من بدء العمل، وكان متقد الذكاء بحيث يتولى تدريس المواد العربية والانجليزية بتفوق، وبعد العمل التدريسي ردحا من الزمن تم اختياره ضمن البعثة العلمية إلى بخت الرضا بالسودان حيث حصل على دبلوم التربية واللغة العربية عام 1960م.

ورغم أن الشاعر على قدر وافر من الثقافة العصرية فلم يكن يزدرى بعلمائه التقليديين على دأب الكثيرين من مثقفة العصر الذين يرون كل قديم شيء منكرا، فما كان الرفاعي يدخر وسعا في ارتياد دور كبار علماء مدينة كنو للنهل من معينهم الفيّاض، فمن جملة شيوخه الذين أخذ عنهم، بعد والده، العارف بالله الشيخ التجاني عثمان والشيخ حبيب بن يحيى الأخ الأكبر لصاحب الترجمة والمعلم إنو بن عمر وغيرهم.

وقد تولى الشاعر مناصب إدارية كثيرة منذ عودته من السودان على الترتيب الآتي:

- مدرس بمدرسة العلوم العربية لمدة بضعة أشهر.
- مذيع بالقسم العربي في صوت نيجيريا لاغوس منذ إنشاء هذا القسم سنة 1960 حتى 1973.
- موظف في وزارة الأشغال بولاية كنو 1973.

● مراقب قسم التلفزيون بالإذاعة الشمالية التعاونية في كدونا 1973-1976.

● مدير محطة ميدغري التلفزيونية من قبل وزارة الإعلام الفدرالية 1976-1980.

وفي حادثة مأساوية وغامضة اغتاله حارسه في منزله بميدغري في الرابع عشر من أغسطس عام 1980م وهو في أوج عطائه الفكري والإداري رحمه الله رحمة الواسعة. وقد رزق بزوجة وست بنات.

ولم يخلف من الشعر غير ديوانه الذي أطلق عليه "قرزمة التلميذ" وهو على صغر حجمه، مهم جدًا لتبين الحركة الفكرية والأدبية لأبناء جيل الرفاعي الذين استطاعوا أن يستلهموا أحدث الإنتاجات الأدبية العالمية دون استهجان بتراتهم المجيد، والديوان عبارة عن سجل حافل بأفراح الشاعر وأتراحه غطى به فترة طويلة من حياته الفكرية وتنوعت أغراضه بين الجوانب الوجدانية والتأملية، وكان شعره أكثر متانة وقوة عندما يغوص لجح التأمل وقد قضى حياته مهموماً من التناقضات العجيبة طي الدنيا، استمع إليه وهو يصب جام سخطة على التدين الكاذب الذي يغش به صاحبه نفسه قبل العالمين، يقول:

ومداهن خدع العباد بدينه	وهو المقيم على ذنوب الفاجر
يمشي على طرف الطريق مطأطأً	منتقلًا كالسيف سبحة ذاكر
شرب المدام بجنج ليل أليل	ويذمها بحديثه المتواتر
أتعيب للناس ارتكاب صغائر	وجرحت دون الناس كل كبائر
وتعد للأجداد كل مكارم	وورثت لؤما كابرًا عن كابر
هذا التناقض لا يجوز لراشد	فذر الرياء وعنك خطة خائر

فهذه المقطوعة على قصرها تنطق عن صاحبها وتعبّر عن المدى الذي بلغ إليه في دقة الملاحظة وحسن التصوير.

نماذج من شعره:

قال متحدثًا عن خصومه وما يأكلهم من الحسد عليه:

وفرقه حسدوني كل منقبة
وإذا علمتُ فمعدول على عملي
لو أنني أنزل الجوزاء من همي
إذا نظمت فإن النظم منتحل
فالعذل يؤلمني إذ أنه شطط
لكني حامل قلبًا أبا شرفٍ
فما لكل جهودي قط تعظيم
وإن أتيت بمجهود فمذموم
لما بدى لهم بالأمر تسليم
وإن نثرْتُ فإني فيه مخصوم
ولو بنوه على حقٍ لما لوموا
لا يرتضي أن يعزّي وهو مغشوم

وقال متغزلاً باللغة العربية حيث رمز عليها بفتاة تسبي قلوب الناظرين:

وجميلة في خدرها
تسبيك حين رأيته
إن تكشفن عن وجهها
ويلاك حين تبسمت
وجمال منطقتها سبي
إن شافها ذو اللب با
رمتُ الدنوّ لها فقا
رددتُ منها مطلبي
فإذا بها قالت إذا
شمّر ولا تنم الليا
فأجبتُ ويحك لا أطيد
سجدت لآيتها الكواكب
كحلاء زجاء الحواجب
هتكت به حجب الغياهب
تغترُّ عن درر الكواكب
قلبي فهام من الغرائب
ت أسيرها واللب غائب
لث لا يسوغ لك التقارب
فغدوتُ مردود المطالب
أرضاك تحقيق المآرب
لي صرت لي جارا مصائب
ق تسهّدًا والليل راقب

قالت فصبرًا إن مثلك لن يكون لنا مصاحب
فكثير مثلك راغبي إن أنت لم تك في راغب
وذهب حبّ واحدٍ أنى يجلُّ بي النوائب
وكلام ربِّك جنّتي من كل تمويه الأجانِب
ويمدني إن نابي خطب بأجنحة الكتائب
فارجع بشوقك والها واذهب إلى ما أنت ذاهبٌ

وقال في الحنين إلى الوطن وهو في بخت الرضا ضمن بعثة علمية:

ألمّ الفراق أجدّ من أحزاني وأقام في أضلاع قلبي الواني
لمّا مضى ملك الهواء محلّقًا في الجوّ منتحيا إلى السودان
وسما بنا متربعا في عرشه والشهب حول العرش والقمران
يرغورغاء والرياح خواشعٌ مرتاعة ما جدّ في الطيران
متزلفات بالسجود وبالمنى وعيونهنّ كثيرة الهيلان
ما زال في لجج السماء وغورها حتى طوته مخالب الحدثان
دُمّ الحياة فإنها محبوبة لا تستديم الودّ للخلائن
بيننا ترى فيها الصفاء مجسّمًا حتى تراه مبدّد الجثمان
تتلون الألوان في ظرف لها فالدهر كالحرباء ذو ألوان
فإذا استقام مع الصباح رأيتَه أمسى على حرب عليك عوان
فاحذر هواه فإنّي جرّيته ووجدتُ فيه تملق الخوّان

فَعَلَ النوى بي ما أراد فليته
نيجيريا أثري وجدت مواطنا
فإذا شغلتُ على الفراق فإني
إني وقلبي في هواك متيّم
أخلصت في حب البلاد ولم يزل
سأظل أسقي في الهيام مدامي
حسبي عزاءً أن من خلق النوى
جعل النوى زمنا من الأزمان

وقال في الحنين إلى زملائه الذين قضى بينهم صفو الشباب في مدرسة العلوم العربية:

إن واجبٌ شيءٌ فحبك أوجب
أتطبق عن ريم الخميعة سلوة
جيد رشيق ضمن قدّ ساحرٍ
وهم يداعب أقوانا ضاحكًا
سهلٌ فراقني منه دون جماعة
همت قوافلهم تغادر مربعًا
يا دهر فاعطف راحما بحشاشة
أو ما كفى لعذاب نفسي ما بها
قومٌ طووا للعلم كل مهامه
العلم رائدهم فما من رائدٍ
أو طالبٍ همي فوصلك مطلبُ
وإليه ذو دين الهوى يتقربُ
جعل الفؤاد بشوقه يتعذب
لولاه لم يك في البرية أشنب
قد كنتُ في أم المدارس أصعب
خصبًا ثوى فيه الفؤاد الأجرب
كانت بنيران الجوى تتلهب
فجعلتها لنوى الفراق تعذب
ورضوا لحق العلم أن يتغزّبوا
ثان له تلك العزائم تدأب

أوقعتهم في البين بعد تجمّع
كانوا لصدر الأم خير قلائدٍ
فهم سكوّبٌ بالعطاء سجيّة
وفصيح قولٍ لو يقوم محاضرًا
أو من إذا أخذ الكتاب مذاكرًا
أو من إذا همّ البلوغ لمقصدٍ
ياليت هذا الدهر يجمع شملنا
و جعلت واحد همهم يتشعب
هذا مرصّعها وذاك مذهّب
أو ليس يهيم بالسجية هيدبُ
ألفيت قسًا في المواعظ يخطب
نفر الكتاب مؤلّيًا يتعتّب
بلغ المنى أو يعتريه المعطب
حتى نفوز بما نحب ونأرب

وقال في وصف الطبيعة والتغني بسحر مظاهرها والتأمل من سلعة الخونة الجبناء.

انظر من الدنيا إلى أرجائها
تعجبك مقدرة الخبير بصنعه
تبدو وآيات الإله شواهدُ
هذي النجوم طوت قرون حياتها
والسقف مرتفع وفي أجرامه
حملت لأصحاب العيون أناة
وصخيرة صمّاء ذات وعورة
والطير تصدح كالرباب وإن تشأ
إن حلقت يعجبك محض تفنن
والريح تسعى وهي تحمل طيها
متأملًا في أرضها وسماها
وجميع ما في الكون من إعيائها
تمحو من الأبصار كل غشائها
وتأبدت في حسنها وزهائها
عمرٌ يضيق الحصر عن إحصائها
يتبين الإتقان في أثنائها
أروت غليل المستقي من مائها
طارَت كأن الريح من أجزاءها
أو عرّدت يُعجبك رخم غنائها
نعمًا وآونة جسيم وبائها

وأقلها ريشان في جوّ الثرى
كم في الخمائل ما يلوح لناظر
فإذا انجلى وردّ تمثل عادة
أو غادة تعلو عليها حمرة
والفصل نشوان بكاسات الصبا
وتفاوحت أزهاره بروائح
والأرض تبدو وهي أكبر آية
أصل الوجود ومنتهاه فإنها
نهضت بأعباء البرية وحدها
ليت الطبيعة أنصفت في أمة
أعرفت في الدنيا أذل مكانة
قوم إذا صاح الفرج بحاجة
فكأنما آي الكتاب تنزلت
والجن في عُرف الحياة رذيلة
حق البلاد وليس حقاً لينا

هذا لأنعمها وذا لبلائها
لحظات عين في وجوب إمائها
يستقى صريعاً من دموع بكائها
تتحرك الآكام من إغرائها
متمائل معها بنغم حدائها
نشرت على الأرجاء طيب ذكائها
تقضي على الأوهام في براءها
مبدا النفوس ومنتهاه أشلائها
تبلو الحناء ولم تبل بجنائها
ولّت على الشجعان من جنائها
من أمة لم تحظ في رؤسائها
قاسوا سراعاً في سبيل قضائها
فتسابق النسك في إمضائها
ما جاز للحرّ ارتداء رداءها
أن تبلغ المغصوب من عليها

وأخيراً نختار القصيدة الآتية، وكل قصائد الرفاعي مختارة، وهي في وصف الحياة ومواجهة صروفها ثم الاستعانة

بالله في اجتياز امتحاناتها:

إلى المجد الرفيع أو الهوان

إلى ماذا يسلمني زماني

حرام أن يعيش على أمان
على الأحرار محكمة الطعان
يكابد أهله شرَّ امتحان
لهوبا بالشجاع وبالجبان
عن الإفصاح أرباب البيان
رمى الدهر الخدوع به جناني
ألاقي دونها حدَّ السنان
وإني منه في حرب عوان
حذار فإن هذا العيش فاني
تمرُّ مع الدقائق والثواني
يداوي من أذاتك ما نعاني
وأعظم سؤلنا عليا الجنان
يظفن مع الطوائف بالأواني
سواء عند ذاتك والتداني
دعا بسواك مردود الأمان
أقضيها الزمان بلا ضمان
وأمنع في القيامة من هوان
فما دأب الكريم سوى الحنان

دع الدهر الظلوم فكل حرَّ
أسنةً هذه الأيام تهوي
فلا وأبيك لا تأمن زمانا
عسوف ليس يألو الناس جورًا
منوح صرفه في الناس يعي
وأعوص يجعل الشبان شيبا
يحرمني مناي وإن أرمها
فغيري منه في سلم مريح
رويدا أيها الدهر المعادي
هي الأيام تقطعها عجلا
سيأتي منصفا داعي المنايا
فإن نغبط فما في العيش خير
وحورٌ كالدمى كرما وزيا
إلهي جلَّ شأنك فالتنائي
أنلني ما سألت فكل داع
ضمان منك خيرٌ من حياة
وودك خير ما نفع البرايا
فكن بي لاطفا ما عشت فيها

وهب لي في المعاد جوارحٍ
نبي خير آيته كتاب
كريم الصيت منشرح الجنان
دقيق اللفظ مكتمل المعاني
من الحكم البواعد والدواني
ورتل في الدجى السبع المثاني
فصلٍ عليه ما خطت سطور

مصادر ترجمة الشاعر:

أبو بكر، إبراهيم ثاني، استعراض لديوان الشاعر الراحل الرفاعي يحيى "قرزمة التلميذ"، بحث تكميلي لنيل شهادة الليسانس في اللغة العربية، قسم اللغة العربية، جامعة بايروكنو 2005.

عبد القادر، أمين، المرحوم رفاعي يحيى شاعرًا، بحث علمي لنيل درجة الليسانس في اللغة العربية من قسم الدراسات الإسلامية والعربية، جامعة ميدغري، 1991.

كبر، حافظ ثروما، الشعر الإسلامي لدى بعض علماء مدينة كنو، بحث علمي لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية قسم اللغة العربية جامعة بايروكنو، 1995.

الشيخ الشريف إبراهيم صالح الحسيني

– 1938

إن كل ما يأتيني لدى التعريف بشيخ الإسلام الشريف إبراهيم صالح الحسيني لا يرضيني وما يرضيني لا يأتيني. قرأت في ترجمته عشرات الكتب وأجدها جميعا قاصرة جداً في حقه، بل قاصرة عن بلوغ معشار ما خبرناه في هذا الطود الشامخ، فجميع الكتب التي قرأنا في سيرته لم تستطع أن تتجاوز السطح إلى الأعماق حيث الجواهر، فالشيخ في استغراقه في الشهود وفي محبته العميقة لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وفي علو همته لنشر الإسلام في صورته الناصعة، وفي جدّه واجتهاده وصبره على العلم والتأليف والتحرير والتدقيق، وفي دماثة خلقه ... كل هذه أشياء لا يرقى قلبي إلى أقطار سماواتها وقد عادت أقلام كل من حاول اقتحام هذا اليم الزاخر خاسئة وهي حسرى.

ولعل الشعر على عصيانه المعروف كان أطوع للواصفين في محاولة التعرّف على هذا البحر المديد، قال فيه أحد الشعراء:

لم يُبق من شيع المعالي مذهبا إلا وعبّد فيه غير معبّد
يحدو السباق وإنه المرمى الذي يتنافسون إليه قله وأكّد
وأضاء كل الخافقين فرما حسدته شمس إذ يضيء وتحتدي
في الرأس أشتات العلوم تجمّعت وركت وألوية الخلافة في اليد

*** **

ومما قيل فيه:

ربة الشعر نفحة القدس زفي كل مستحدث وكل قديم
في المعاني نزر فناء لسيف الله لا سيف دولة أو رسوم
سيدي الشيخ من ينسّيك إن ربّي ورقيّ أستاذ موسى الكليم
رُبّ حسنٍ له إذا خيل لي وقّيتُ مدّ اليدين مدّ الغريم
فلو اسطعّث فيه أستنطق الكو ن فيتلو العظيم أنبا العظيم

مجدٌ هذا الترى بمجد الأروم كلما فاخروه زان جديد ال
 (ن) وهل (كان) غير ركن السؤوم وهم بين من يلود إلى (كا
 ويكون التقدير في اسم سقيم إنما (كان) ترفع اسمًا صحيحا
 وقال شاعر عن مؤلفاته:
 فةٌ يمليان عليه ن عم الأسطرا فكأثما القرآن والسنن الشريـ
 ب وحكم ما قد صحَّ عن خير الورى هو ذاك إذ لم يعد عن حكم الكتنا
 أصداف بحرك لا ولست مخيِّرا يا سيدي عفوا فلم أك محصيا
 أحصي النجوم على الصحيفة محصرا حاشا فمن أنا في الفصاحة وابن من؟
 آتي على هذا الجمال معيِّرا وبأي عقل أم بأية فطنة
 وعلى كلِّ، فقد قال الشاعر لما أعياه إحصاء أوصاف هذا البحر المحيط:
 أرسلتها فيك تحجم، وصفك اعياني يا سيدي الشيخ عفواً فالقريحة إن
 إلى جمالك يا كوني وديواني وتشتكي زلة الأقدام ما ذهبت
 والفن طوعي وحيُّ الشعر عنواني كم كنت أرجو لو ان الحب ينصفي
 "قس" و"سحبان" حقا ذيل نسيان لكنك أنشأت فيكم ما يجر على
 طير الأرائك عن حسي أترضاني؟ أزجي المدائح ترويهما مسلسلـة
 وصفي أيرضيك أن الحب أداني؟ إن كان مقدارك السامي يجلُّ على
 لكن مأتاه من أصقاع وجداني (رث اللغي) جير(فضفاض الرداء) أجل

على كلِّ فسنسلك طريق المعجميين في الترجمة لهذا العالم الرباني حيث لا حيلة لنا.
 نشأ الشيخ الشريف إبراهيم صالح رضي الله عنه من أسرة كريمة ترتفع بنسبها إلى الدوحة النبوية الكريمة، من ناحية
 الوالدين معا، حيث يلتقي أبوه مع أمه في جدهما الثالث، فأبوه هو الشيخ محمد الصالح بن يونس بن محمد الأول بن يونس

بن إبراهيم بن محمد المكي بن عمر الحسيني. ووالدته هي السيدة فاطمة البتول بنت الشيخ الشريف محمد البشير بن عبد الرحمن بن الصديق بن إبراهيم بن محمد المكي بن عمر الحسيني... وينتهي نسب الشيخ من جهة أبويه إلى الإمام الحسين بن الإمام علي كرم الله وجهه، وابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولد رضي الله عنه ليلة السبت الثالث عشر من مايو عام 1938 في قرية عريديية التابعة لمحلية ديكونا الواقعة في ولاية برنو، نيجيريا حالياً.

بدأ حياته العلمية بين يدي والده المقرئ الشيخ محمد الصالح الحسيني، وقد بان فرط ذكائه مبكراً حيث كان يحفظ السور الطوال من ترتيل والده أثناء تهنئته، ما ساهم في توليته عناية خاصة من جميع من اقتضت حكمة الله بأن تكون له بد في تكوين هذا الفتى العلمي.

"بعد أن حفظ القرآن الكريم وجوّده التحق بمعهد العلامة الفقيه المحدث الشيخ الإمام محمد بن محمد المصطفى العلوي الشنقيطي نزيل برنو، فدرس عنده الفقه والأدب والنحو والحديث، ثم بدأ يزور العلماء في برنو بقصد تلقي مختلف فنون العلم حتى برز في علوم القرآن والتفسير والحديث وعلوم اللغة والفقه وأصوله والسيرة والمنطق والفلسفة والتاريخ. وقد ساعده على ذلك جده واجتهاده وبجته المتواصل. ولم يغادر ميدغري إلا بعد أن اطمأنت نفسه إلى ما حصله من تلك العلوم"

ومن بين العلماء الذين أخذ عنهم ساحة الشيخ - قبل مغادرته برنو- الغوني جده والغوني عبد الله الفضالي والعارف بالله الشيخ أحمد أبو الفتح اليرواوي وغيرهم. ثم التحق بمشاهير علماء العالم الإسلامي وأخذ عنهم وأجازوه في مختلف العلوم الإسلامية، ومن هؤلاء المشايخ:

- الشيخ حسن إبراهيم الشاعر، شيخ القراء.
- الشيخ أبوبكر عتيق الكنوي.
- شيخ الإسلام الشيخ إبراهيم انياس الكولخي.
- الشيخ علي سيس بن الحسن.
- العارف بالله المحدث الثقة محمد الحافظ بن سالم المصري.
- العلامة الشيخ محمد زكرياء الكاندهلوي.
- الشيخ المحدث نور أحمد البري.

وغير هؤلاء العشرات الذين اتصل ساحتهم وأخذ عنهم وأجازوه في ميادين المعرفة المختلفة.

وله مئات المؤلفات ما بين مطبوع ومخطوط ترجم بعضها إلى لغات العالم الكبرى، وتقع بعضها في مجلدات بينما لا يزيد بعضها على بضع أوراق، تناول بمؤلفاته مختلف العلوم الإسلامية والإنسانية من تفسير وحديث وفقه وأصوله وتركيبه وفلسفة وسياسة واقتصاد وفلك وغيرها مما يمس حياة المسلم وثقافته.

يشارك الشيخ كما يرأس كثيراً من الهيئات واللجان والمجالس العالمية والمحلية، ويتولى منذ عامه 1992 رئاسة هيئة الفتوى بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية في نيجيريا، كما يرأس المجلس الإسلامي النيجيري منذ تأسيسه. وقاد أوسمة عالمية ومحلية كثيرة جداً، كما ظل يشارك، منذ ستينيات القرن العشرين، في المؤتمرات الدولية بحيث يُعتبر من أهم الشخصيات العالمية التي تشرف المؤتمرات الإسلامية العالمية حيثما تُعقد في أنحاء العالم.

أما شعره فقوي وسليم من مآخذ العجمة التي ضرت خيمتها في بيئة الإبداع الشعري النيجيرية. ولا يخرج أكثر شعر الشيخ الحسيني عن الأغراض الصوفية، ويوجد جله في ديوانه المخطوط الذي تتوزع قصائده بين الحب الإلهي والمدح النبوي ومدح الصالحين والتهذيب والإرشاد ومحاربة البدع وغيرها من الأغراض التي يتطرق إليها الصوفية عادة.

وشعره الصوفي شعر راسخ في الأذواق ومتمكن في مدارك القوم، لا تغالبه الأحوال ولا تهب به رياح الجذب يمنة ويسرة، يملك لفظه ولا يفقده أكثرع جام المحبة له، وهذا ما لا يتأتى لغير الراسخين من القوم الذين تراهم كالجبال تحسبها جامدة وهي تمر مرّ السحاب، فانظر كيف تتفجر ينابيع الحب الإلهي بجد ذاتها في الأبيات الآتية وقد امتزج كيال الشاعر بذكر المحبوب:

ودنى الفؤاد إلى الحبايب وازدهى والدهر بعد تعة قد أنصفا

والسعد أقبل والموانع أدبرت والبدر بعد صدوده كرمًا وفا

فسقيت كأس محبة قدسية أفنت كياني لوعة وتلهفا

إذكدت أهلك في محامه حبه حتى وصلت تكرمًا وتعرفا

غمرت محبته الفؤاد وقد خلى عمًا سواه فطاب وقتي إذ صفا

هكذا تجده يتحلق في سہاوات القدس ويتحدث حديث النفس التي سمت على أدناس العوالم السفلية وارتفعت إلى معراج القدس وحضرات القرب ورأت من المشاهد كل خاطر ببال ولا ينحدُّ بجِدِّ أو قيد فتفيض نفسه بحديث أولي الألباب.

وكان الشيخ شديد الثورة على البدع والمحدثات المخالفة للشرع ويدعو بقوة لعدم الانحراف قيد أملة عن السنة الشريفة، من ذاك قوله:

العلم ما صحَّ للمختار نسبته وما سواه فلا تحفل به أبدا
فالزم فديتك أخبارًا تنير له طريقة الحق تزدد في الهوى رشدًا
ومن تراه إلى الآراء متبعا فاحذره للدين مهما كان ما اعتقدا
ولا تجادل على التحكيم ذا شطط فليس متبَع الهادي كمن جمدا
فكم أثار الهوى في الناس معضاة تدمر المدن لا تبقى بها أحدا
لكن دعوتك للوحي الموضح للوحي المنزل من رب الورى عضدا
تلك التي نورها في كل مشكلة يجلو غشاوة قلب ضده اتحدا
والله أرجوه توفيقًا يسهل لي سلوك منهج عبدٍ جدِّ واجتهدا

هكذا تجده ثائرًا على صور البدع التي استشرت في المجتمع النيجيري لدرجة أنه عقد العزم غير مرة على الهجرة من هذا المجتمع إلى جوار المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، يقول:

مني تي أن أجارو البدر فيها طيبا خاطري ليوم التلاقي
يسر الله لي سلوك سبيل الرشد في نهجه وهان انطلاق
أنا في يروة وقلبي دواما في اتجاه لربعه واشتياق
وإذا سهل الإله وصولا لفنا المصطفى وتم التلاقي

أسأل الله أن يسهل سكناي بها خادما بدون فراق
أنا في وحشة وكره عظيم من أذى المحدثين أهل النفاق
تركوا سنة النبي وضلوا وأضلوا وكلهم في شقاق
كل نهج سوى سبيل المقفى فإلي ردة الهوى وغساق
فبلادي وساكنوها جميعا ناصرو المحدثات بالاتفاق
واجتوا سنة النبي ومجوا بطرا حبله لمثل الفتاق
قدموا الرأي والضلال عليها ورموا ناهج الهدى بالنفاق

وهكذا تجده ثائرا على المخالفات الشرعية، وتواقا إلى التجديد في حياة الأمة الإسلامية التي قض الوهن ظهرها
وتئن من استعصاء دائها، وقد طبعت مختارات من شعره بعنوان "المنتخب المنيف من ديوان الشريف". وإليكم نماذج من
قصائده رضي الله عنه

يقول في البراءة من أنصار الزيف من أهل الزمن:

روحيني وخل هذا التجني
طبيي خاطري وصفيه حتى
أنا أصبحت بين حي وميت
لم تنتابني المآسي تباعا
أنا ماض يا دهر شانك والوا
كل همي درك المعالي تريها
والألى يرقبون فيئة عزمي
ما لهذا الأسي وهذا التعني
يرقص الدوح والرياح تغني
في بلادي وبين كون وكون
أو ما قيل ان سنا بسن
جب لا ينتفى بالآف ظن
باطراح الونى وسوء التمني
لست من رأيهم ولا هو مني

أمتطي المزن أرتدى الجلام
أرقب النمل في قراهاى وأرعى ال
بذلت جمدها لتحيا حياة ال
وأرى العنكبوت يصنع فينا
تعبر النحل أغلب الروض تاتي
ونجوم السماء تعمل ليلا
خلق الله للمجدين في النا
كتب الله آية النصر في الج
خل رأي المثبتين الألي عا
صدقوا الوهم كذبوا العقل ضلوا
أثريا أعيش عقدا وشرعا
رافعا راية الحديث مجيبا
سر على الدرب في سبيل التسامي
صدق العقل واطرح الجور واترك
إن في الحق والعدالة نورا
يدفع الناس للسعادة والحسد
سار في الدرب قبلنا الرسل والأصحاب والصادقون في كل قرن
قاوموا الغي بالحديد وبالنا
ر لأحيا بعدي ومجني
طير في جوها تعاف التدني
سعد تبني كيانها المستطن
معجزات التسبيح من كل فن
بشراب من كل لون ولون
ونهارا لكي تحقق ظني
س لفيفا من السعادة تغني
د لإنس ترونه أو لجن
شوا بسلوى من الظنون ومن
منطق الرشد زوّقوا كل مين
عالي الصوت فاضحا كل زن
صيحة الحق في ردالمطمئن
معزما في رباطة وتأني
كل قاض يحق ظنا بظن
يقشع الرين عن فؤاد وعين
نى وهناك بغية المئني
ر وبالسيف قاوموا وبلدن

كم دعونا إلى التحرر لكن
كم دعونا إلى التأكد من ان
كم دعوناهم وكم قيل هيبا
رغم هذا فالفأل يبقى منارا
والصبا ينشر البشائر كالسلا
يلبس العزم سندس الصبر يجي
عيشة السودنيق عشاها عزيزا
وشجى ذاق الامرين مثلي
في ضميري حرب وفي الصدر أهوا
كنت أخشى الصدام من قبل لو
حاول اليأس أن يشق إلى قلبي
حقق الله لي مدى الدهر أما
طبعت سية الغواية فيهم

ويقول في القصيدة الفائية الجامعة:

نور أضاء له الفؤاد فأسعفا
يا من يروم ديار أهل الحب سر
صبا براه الشوق حتى أدنفا
سر في طريقك غير ملتفت ودع
هذا السبيل إلى مقامات الصفا
لا تستشر في السير من لعبت به
نفسا تُمني أو هوى مستوقفا
أهواؤه أو من جفا أو أسرفا

والزم مجالس من صفت أوقاتهم
وإذا دنوت إلى معاهدهم فقل
نفسى الفداء لمعشر قطنوا بها
ولقد سلكت سواء نهج ذوي التقى
فقصدت ميمون النقيية قاصرا
بحر الشقا في الحب جزت جسوره
ودنى الفؤاد إلى الحبايب وازدهى
والسعد أقبل والموانع أدبرت
فسقيت كأس محبة قدسية
إذ كدت أهلك في محامه حبه
غمرت محبته الفؤاد وقد خلى
روحي تسبحه وقلبي هائم
يا بهجتي يا نعمتي يا وجهتي
يا نور ذاتي إني لك حامد
بالله نطقي منه سمعي إذ غدا
فأنا الذي لقن البشائر واحتسى
وأنتُ إرثًا أحمديًا كاملاً
وَحَفِظْتُ سِرَّ الْحَقِّ إِذْ أودعته

في الذكر لا من في المدارك قد طفا
أسلمتُ وجهي طالبًا متكففا
الكل في نهج الإرادة أسنفا
قدمًا بمحو نقيضه حتى عفا
عزمي عليه فحزت غايات الكفا
وطويت غورا نجوده والصفصفا
والدهر بعد تعة قد أنصفا
والبدر بعد صدوده كرمًا وفا
أفنت كياني لوعة وتلهفا
حتى وصلت تكرمًا وتعرفا
عمًا سواه فطاب وقتي إذ صفا
وبه تكلمَّ خاطري إذ أشرفا
يا عَلَّتي في ذكرِ إِسْمِكَ لي شفا
قلبي وبالعهد الموثق قد وفا
حبلي وثيقًا وصله بالمصطفى
صِرْفِ المودة من صفاء الإصطفا
فالسعد أقبل والجفاء قد انتفى
لما أكفهرَّ الجهل من أهل الجفا

وأجتهم ما خفّ حملاً واستوى
إذ ظلّ جاهلهم بأني ناضبٌ
فاعجب لمغرور ينادي جمرة
واجترّ دعوى لاكها بلسانه
قف عند حدّك يا جمول فإنني
مددي من الهادي البشير مباشر
وكسيت من حلل الخصوصية التي
ونطقتُ عنه معبراً في عالم
وأخو التندُّخِ حار في علوائه
وعصمت منه بنفحة قدسية
بجوامع الكلم الرّبيع يخصني
وأحلّني شرفاً رفيعاً إذ نمي
يا ظاهرًا يا باطنًا أوليتني
إذ كنتَ كنزاً في غيابات العمّا
وبعثتَ بالنبيا العظيم محمدا
فلك الشنا والحمد يا باري الورى
ما لي سواك من البوائق منقذ
بالعفو والستر الجميل حبّوتني
في دركه من ذاقه أو من نفى
نبي ونيل معادني قد أوقفنا
بالجهل بين العارفين وقد طنى
إذ حار بعد الكور والنور انطفأ
قد دام من طه المحبب لي اصطفأ
حقاً وغيري في الحقائق زيقاً
ما نالها أبطال دائرة الصفا
كنت الإمام به وغيري ما وفي
كل المكائد منه قد ذهبت جُفاً
ألفته بين دجى الضلال مخلفا
إرتنا برغم معاندي قد أرجفا
حبلي إليه وكل أمراض شفا
شرفاً أناف إلى العلا بل يتّفا
حتى كشفت الرمز عن سر الحفا
وهب البصائر في المعارف مصحفا
إغفر لعبدك ما جنى أو ما هفا
يشفي عليلاً في الإحالة أسرفا
كرماً ومن داء الجوى نلنا شفا

بنبيك الهادي مددت عطاءنا
وشفى بإذنك كل داء معضل
ولقد غنيت بقادر قد جاد لي
وبه دفعت أذى الكنود ومكره
لم لا وطه قدوتي ووسيلتي
نسبي إليه يشدني وعلاقتي
نهجي إلى رضوان ربي شارع
بالذكر بالسنن الرفيعة عصمتي
فإذا ادعى بالزور نيل خصائص
قلنا المخلص لا يزيغ عن الهدى
أو قال بالجمع الموصل للفنا
أفهل ينال مواهب الإجلال من
كلا ولا داع إلى الشرك الذي
أو بالحلول والاتحاد سفاهة
سبحانه المعبود في عليائه
هو واحد في ذاته وصفاته
عجز وفقر ظاهر وجماله
لا يستوي عبد تطهر قلبه
ونسيم قربك بالبشائر أطرفا
وسجاف غاشية الضلالة كشفا
بمواهب جلت وسرا أتخفا
مهما سعى وبخيله قد أوجفا
مددي صفا من بحره واستطرفا
ووثقى وقربني إليه وأزلفا
مهما تقول من نأى واستنكفا
دهري ونلت بفضله أصفى صفا
ويلوغ أقصى غاية أو أشرفا
وعن اتباع المصطفى لن يخنفا
قلنا خذلت فلست من أهل الوفا
ركب العماية في الهوى متغطفا
حرم الإله ذويه من مدد الصفا
يُرضي الإله ودينه قد أتلفا
منتقدسا عن رأي غمر أحنفا
وسواه وصف القدس عنه قد انتفى
حكمت على من في التندخ أسرفا
من كل زيغ واهتدى وتحنفا

ما زال عن قفو الهدى مستنكفا
حتى تبرأ من ذوبها المصطفى
ومن الذي أعطى الحياة وأتحفا
والعقل بالوحي الموجه شرفا
وهديت كل الكائنات تلطفا
والأمر أمرك ما بدا أو ما اختفى
كرماً وفضلك كل خلقك قد كفى
كيد العدو إذا بغى أو أرجفا
قهر الخطوب وبدره لن يكسفا
فتحاً حباه وبالمطالب أسعفا
وقضى لبانات الحشى واستطرفا
قطع المنافس جهرة واستطرفا
أين المجادل والشفيع المصطفى
قشع الظلام من القلوب وكشفا
رقي السماء محبه بل أشرفا
لله منتدب فقى وتكشففا
في ظل طوبى فأزدهى بل شففا
زهداً أشاح بوجهه بل تففا

مع من تمدى في العماية غافلا
واعجب لدعوى جانبت سنن الهدى
فمن الذي وهب الوجود وجودهم
ومن الذي غرس المواهب في الورى
يارب وحدك قد خلقت تكزما
يارب وحدك تستحق عبادتي
تعطي وتمنع ما تشاء لمن تشا
فلذاك لا يخشى وليك دهره
أنت القوي ومن يلد بجواره
وغدا على قُلل السيادة راقيا
واجتاز معترك المنايا ظافرا
نور غزى سبغ الظلام بقوة
أين المعاند والتصير محمد
وهو الرءوف هو الرحيم ونوره
وزكت نفوس الماسكين بجبله
من كل منتسب إلى عليائه
وأناخ نمت بعد جوب محامه
وأطل في شمم على دنيا الورى

مولاه أَكْرَمَه بنور عنايةٍ
وصفت له الأحوال في مرج سرى
والواردات الغرّ من أوج العلا
وأزدان بالفتح المبين وأينعت
وجبين هذا الدهر خلّد ذكره
وعوالم الملاّ العلى احتفلت به
ولذكره تعرّوا المَنَابِرَ هِرّة
وحباه ربّ العالمين عنايةً
وحباه منه صيانةً وكلاءةً
وحباه منه مهابةً وجلالةً
يارب حلّ بيني وبين جميعهم
بالذات بالإسم العظيم وسرّه
وأمدنا بجنود نصرك دائماً
نصرًا عزيزًا في المواطن كلها
وأدّم على ذا العبد ما أوليته
وأدّم على الأحباب لطفك دائماً
وأزلّ نعيم الماكين وردّهم
دمرٌ ويددٌ شملهم وأزلهم

فَدَهَى اللعينَ بعزمه إذ غيِّفا
فيه النسيم محققاً ما استهدفا
هطلت وصيِّها المسامع شتفا
ثمر الخصاص نيلها لن ينزفا
وله الشا ربُّ البرية أوقفا
نال القبول من القلوب فألفا
والكون عن أخباره مستودفا
فضلا ومدّ له العطاء ووَرِّفا
شانيه هيّعه الجوى بل هيِّفا
هدّت قوائم زائغ قد جدّفا
عنا ادفعنّ المكر والكيد اصرفا
إغفر لعبدك ما جنى أو أسرفا
ما ضرّنا جنفا بطه أوجفا
وعدوّ دينك في المهالك قد هفّفا
وحبوته فيما بدا أو ما خففا
فيمين تقدّم منهم وتخلفا
درك الوبال ورفدهم أضحى جففا
بالمُدلِّهم من الدّواهي مُعصِّفا

وبنا شعار الدين يعلو دائماً
وغدت قلوب الذاكرين منيرة
وخلت من الشحنة والبغضاء وال
واخاؤنا قد عمّ واُزهرت له
وتواصلت نعمُ الكريمِ عليهم
وعلت وجوه الصابرين نضارة
والنور حلّ على القلوب وآذنت
وإلى الذي يُرضيك حول حالنا
أمّن عبيدك لا يرى متصرفاً
وكما مننت آدم علينا واطوينا
نقفوه في سرّ وفي عليّ على
أمّن جوانبنا بسرّك خالقي
واجر المواهب والعطايا مطلقا
والعلم والأرزاق من مدد الرضا
فتحاً وكشفاً صادقاً وولايةً
واجعل دعائي مستجاباً دائماً
بالجود بالفضل القديم تعلقي
بالذات بالأسماء أدعو جملة

وبنا ضلال الملحدين قد انتفى
وصلت حبال سلوكمهم بالمصطفى
حسد المكدر صفو أرباب الصفا
كل الزوايا وانطوى زمن الجفا
وأزال داعيه الخصام وأنكفا
وجميعهم نهج السلامة قد قفى
رايات أرباب الدعاوي باختفا
في الدين والدنيا وعجل بالوفا
فيه سواك ومنك جلّه احتفا
عنا المسافة وأكفنا بالمقتفى
رغمّ المخالف حيث أخلد باللقا
وشراب صحبي بالعوارف قد وفي
حتى ينال جميع أحبائي أكفنا
من غير قيد هب لنا يا من كفى
هب لي وللأحباب من أهل الوفا
وحوائجي تُقضى بلا شرط وفي
وجميل ظني بالحبيب المصطفى
وبها لأحمد في السماء تكشفا

جُدْ بالذي أَمَلْتَهُ وسألته
لا تُبْقِ رَسْمًا للعدوِّ وحزبه
بالزور بالبهتان يسعى باغِيًا
في نحره كيد العدو ترده
أخذًا عزيزًا خذهُ واكفْ شُرُورَهُ
ما لي سواك مدافع أحمي به
لم آت ذنبا غير أن عقيدتي
ودريت من ذا الدين ما لم يدره
ورفضتُ حشو الدين بالزيف الذي
واعجب لمن تخذَ الضلالةَ مذهبا
يُبدون حقا يضمرون خلافة
واعجب لهم ينفون قدر المصطفى
ومن الدعاوي ينسجون عظامًا
وبالانتساب إلى الجناح تعلقة
أو بالتمني الفضل يدركه الفتى
وإذا المواهب أدبرت نفحاتها
والمرء إن يخذله خالقه فلا
وازور وارفه وداعكه الألى
فيما بدا للناس أو فيما خفى
وأزله مع ما حاكه أو زخرفا
ضُرِّي وأحبابي ورِيَّ قد كفى
ويديه من دسم المنافع نشفا
ذا العبد والأحباب ممن قد صفا
عرضي الممزَّق دون ذنب أوهفا
رفض الضلال وقفو نهج المصطفى
قرني وحزت من الدلائل ما شفا
حسبوه دينًا وهو من سقط اللفا
وأخو الضلالة وزن نائله طفا
وسباهم الملعون ممَّا زخرفا
ويرون حُبًّا في الجناح تكلفا
زورا ومنتهج الضلال على شفا
ليرروا دعوى التفوق والكفا
أو بالهوينا القزم يسبق مهذفا
صارت رياض الحصب قاعا صفصفا
تلفيه إلا خائبًا ومُزْلِحَفًا
نصروا وجانبه الخليل وأنظفا

وخبث ضياء العز حين أفولها
دنياك إن تدبر فهذا شأنها
ولسان حال الوقت يهتف قائلاً
وإذا البداية أحكمت أركانها
أما إذا وهن الأساس فلا ترى
قلب به صور الخلائق ظللت
وكذاك لم يفهم دقائق ربه
فاحرص على إتقان آداب التقى
إن عزّ في ذا العصر خلٌّ صادق
فالزم فديتك نهج أفضل مرسل
فإذا عزمتم على سلوك سبيلهم
وتجنّب النقد الدفين فإنه
وعمداد هذا الأمر حبّ شابه
واحذر ضلالة حائر متأول
فالإتباع وإن تعاضم قدره
فوداد هاديننا علينا واجب
مولاه في الحجرات أعلن قدره
في الذكر والعهد القديم ثناؤه

والحق حصص والتندخ دقفا
تُردي المحبّ لها إذا ما أكلفا
ويل لمن نقض العهود وطففا
كانت نهايتها بناءً مرصفا
في الأوج إلا واهياً أو أضعفا
مرآته لم يستتر منها صفا
قلبٌ أصرّ على البوائق والهفا
في البدء والزم عزم أرباب الصفا
أو عارف بشرائط التقوى وفا
فبالاقتدا بالمصطفى تنل الكفا
فالفرض أتقن والرغائب كتّففا
سمّ وخي ما لذائقه شفا
أدبٌ وتعظيم سمي للمصطفى
جعل المحبة طاعةً إذ فلسفا
فعرن المحبة والتّجلة ما كفى
فالدين دون وداد أحمد ما صفا
في النون عظم خلقه بل شرفا
والرسل بالميثاق كلهم وفا

فاملاً فؤادك من محبته ومن
وصل الصلاة إلى الصلاة عليه إذ
وتزيل كل الحجب إن لازمتها
وبها إلى حضرات ربك واصلا
دع عنك آسن شرب غير محمد
فلئن سطت أيدي اللئام وحرفت
سبط النبي ووجه ووريثه
ووريثه قطب المعارف شيخنا
صل مغرمًا أضناه جوب وهادها
واذكر إلهك حيث كنت مجانبًا
متواضعا في النفس دون تماوت
شمر على قدم الفتوة قاطعا
تصفو القلوب وتطمئن بذكره
أتقن فبالإتقان يثمر غرسها
وزن المقال مع الطعام وخالطة
والزم من الأسماء والأذكار ما
واظب على حزب التلاوة موهنا
والزم شعار الحق واقرع بابه

أدب وتعظيم تخص بالإصطفا
بضياءها تمحو الظلام وتصرفا
وبها إلى رتب المكارم تصطفى
فوق الحجاب معظما ومشرفا
بينيك ما وهب الأمين وقد كفى
سنن الطريق فورد أحمد قد صفا
ختم الولاية من لخرقتها رفا
برهام من نصر الطريق ونظفا
ونجادها واجنب خطى من سوبا
نزوات من شرب الضلال وخرفا
وتوق ما نسج اللعين وزخرفا
عقبات وادي النفس بالجد الكفا
والنفس تزكو حيث زايلها الغفى
هجر الفضول يقيك من شطط الهفا
والنوم قلل واعتصم بالمصطفى
وردت به سنن البشير إذا صفا
ومن التضرع أكثرن وألحفا
فبقرعه بالزواكيات تزعنفا

وجنابه أرقب في المواطن كلها
وتحل بالشيم الكريمة واعتزل
وإذا بدا لك في مسيرك معلم
واعلم بأنك في السلوك مسير
والفتح إن سطعت عليك بدوره
يأتي اليقين إلى المعان بديهية
وهناك تصبح للمعارف معدنا
مدد سمي بك فوق سدره منتهى
مدد سرى لك من جناب المصطفى
طوبى لمن وصل الحبيب حباله
ثم الصلاة مع السلام عليك من
والآل والصحب الأماجد جملة
فبقدره تشفي وقدرك يُشرفا
شيم اللئام تنال أجزل ما وفي
للغز فارم به العين وتنففا
بالإذن تلزم ما يعن وتصرفا
واصل عبورك والمنازل أحصفا
فالشمس تشرق والنجوم إلى خفا
تهب الفيوض لمن لمنهك اقتفى
حق اليقين معززا ومشرفا
أغنى وأتحف بالمزيد وأطرفا
بجباله ووداد أحمد قد كفى
مولاك من رفع المقام وشرفا
عدد الوجود مكررا ومضعفا

السيد أحمد صابر

1984-1939

أحمد بن محمد بن أبي بكر بن أحمد من مواليد حارة (مرنر ظاميا) في مدينة صكتو، سنة 1939. وقد لُقّب بـ (صابر) لتحليه بالصبر منذ الصغر.

وقد نشأ الشاعر في بيت علم، حيث كان أبوه مالم تتعالى من أعلام صكتو في عصره، تكتظ مدرسته بطلاب العلم من كل صوب وحذب، فكان لهذا الوالد أكبر الأثر في تنمية الشاعر تنمية إسلامية وتوجيهه صوب العلم منصرفا عن مهنة أهل المنطقة التي نشأ فيها وهي الصباغة.

أرسله والده في صغره إلى مدرسة مالم لبو لتعليم القرآن الكريم، وبعد أن ختم القرآن الكريم على الطريقة المألوفة في نيجيريا واصل مسيرته العلمية بمعهد والده فقراً عليه جل الكتب الفقهية والعقائدية واللغوية التي تدرس في الدهاليز، ثم استحثه باعث التزود والتفنن إلى الاتصال ببعض مشاهير علماء تلك المنطقة للأخذ عنهم فالتحق بمدرسة مالم دودو ومدرسة مالم عبد الله، كلاهما في حي مرنر ظاميا يقطف من ثمارها اليانعة، ثم بعدها اتصل بالمعلم ميكانو الذي أعجب بموهبة الشاعر ومستواه الرفيع فكان وراء إلحاقه بمدرسة أحمد طن بابا مرافا النظامية مدرّسا وسرعان ما أدرك وهو يزاول تلك المهنة مسيس الحاجة إلى الالتحاق بالمدارس الحديثة لمواصلة دراساته وملء الفراغ الذي لا يكاد يملا في الدهاليز بيسر، فالتحق بمدرسة الشريعة كنو عام 1962م وكان ذلك فرصة له للتفتح على العالم الخارجي فاستفاد كثيرا من أساتذته الموفدين من الدول العربية من أمثال الشيخ عبد القادر عمر السوداني والشيخ محمد حجاب المصري وغيرها، وتخرّج في هذه المدرسة بامتياز سنة 1966م، وكان هذا التقدير وإعجاب أساتذته به حافزا قويا له في مواصلة الدرب، ولم تمض أربعة أشهر من تخرجه حتى وجد القبول بكلية عبد الله بايرو (جامعة بايرو كنو حاليا) لتحضير الليسانس في اللغة العربية وهناك زادت مواهبه صقلا وثقافته توسعا واتصل بأساتذة متمكنين عربا ومواطنين أمثال الدكتور محمد أيوب والدكتور أبوبكر بلاربي والأستاذ علي نائي سويد ولعبوا دورا كبيرا في تكوين شخصيته الأدبية، وتخرج بشهادة الليسانس بامتياز مع مرتبة الشرف سنة 1971م، فرجع إلى صكتو لخدمة الوطن، وعين، بعد الخدمة، موظفا بوزارة التربية والتعليم، لكنّ جامعة بايرو (كلية عبد الله بايرو) استوظفته معيّدًا بالقسم نفسه الذي تخرّج فيه لسبب تنويه أساتذته بمستواه العلمي، وسجل للماجستير فور عودته إلى كنو، وبعد اجتياز مرحلة الدراسة التمهيدية بتفوق كان القدر يترصد الشاعر حيث وقع في حادثة سيارة في إحدى زيارته لصكتو وهو في طريق العودة إلى كنو، ففضى بقية حياته مشلولا لزم الفراش يكالغ

المرض وتنتقله أيدي الأطباء بين نيجيريا والمملكة المتحدة، لكنه رغم هذه الأحوال القاسية ورغم الشلل شبه الكلي لأعضاء جسده لا يزال عقله متقدماً ولا تزال همته عالية كأنما هو وأبو القاسم الشابي يتنازعان قول الأخير:

سأعيش رغم الداء والأعداء كالنسر فوق القمة الشماء
لا يطفأ اللهب المؤجج في دمي موج الأسي وعواصف الأرزاء

فاستطاع رغم هذه الظروف القاسية أن يملئ الرسالة على قرينته وهي تكتب حتى استطاع أن يكمل الرسالة عن أبي الفرج الأصبهاني ومصادر كتابه الأغاني سنة 1979م.

ورغم تلك الظروف العصية التي أملاها القدر على الشاعر فقد استطاع أن يسهم في ميدان التأليف بكتابين إلى جانب البحث المذكور، والكتابان هما:

- ترجمة مسرحية أصحاب الكهف لتوفيق الحكيم إلى لغة هوسا.
- ترجمة كتاب إحياء السنة وإخمد البدعة للشيخ عثمان بن فودي إلى لغة هوسا.

وفيما يتعلق بشعره فيصفه أحد الباحثين بقوله:

طرق هذا الشاعر فنون الشعر المختلفة من مدح وثناء ومناسبات، والجدير بالذكر أن شعر هذا الأديب مرآة تنعكس عليها الظروف المحيطة بالشعب النيجيري، والأوضاع السياسية السائدة في عصره... وترى الشاعر يصنع مدائح بصورة سياسية يرتضيها... كما أنه زاد في الرثاء معنى وهو تندب أمجاد الميت وخصاله المحمودة.¹

هكذا، وإن كان هذا التعليق تعوزه الدقة إلا أنه تصوير نسبي لشعر أحمد صابر بالمقارنة مع أشعار معاصريه في صكتو.

وبعد مرض دام قرابة عقد من الزمن سلم هذا الشاعر الروح لله تعالى وانتقل إلى رحمة مولاه سنة 1984م عن خمسة وأربعين عاماً.

نماذج من شعره:

1. **بائته في مقاومة الغزو الفكري:**

ويقول رائيا والده:

خليبي سيرا في قوافل خلائي
وقولا متى لاقيتما قبر والدي
لقد مرّ عام كامل منذ فقدته
شعرت بأني ميت يوم جاءني
وجمت وجوماً طال حتى كأني
تلعثت حتى خالني الناس ألكنا
ألهفي على فوت الذي قد أعاني
أبي جئت في الدنيا وما كنت عالماً
أبي لست أنسى كل ما أنت تفعل
أبي كلنا فان سنأتي إليكم
سندركم يوماً وإن طال عمرنا
هل الدنيا إلا سراب بقية
ألا إنما الدنيا كصورة تلفزه
إذا مسها لا شك قد مسّ شاشة
ولا شيء في الدنيا يكون مخلداً
وحلاً بداري إذ بها بعض إخواني
سلام عليه عدّ رمل وحيتان
ولم أنس ذاك العام إذ هو أضاني
نعني يواسيني ويوقظ أحزاني
غدوت وعيني من معاشر خرسان
وفاضت دموعي فجأة ملء أجفاني
وأدّبي طفلاً كذلك ربّاني
بيوم وفاتي يوم أنس أكفاني
حباك إله العرش أجزل إحسان
ونلقاكم في برزخ بعد أحيان
رجائي أن تحظى بروح وريحان
وماء ولكن غير مجد لظمئان
توضح للنائي حياة بميدان
فلم يلق شيئاً غير وهم وحرمان
وإن عاش أقرانا فقل إنه فان

كفى لك وعظا أن ترى في بلادك
سألتك يا رحمن إغفر لوالدي
وأعط أي، ربي، سرورًا ونعمة
وأسألك اللهم حسن الخواتم
وكن غافرًا للمسلمين جميعهم
ختمت بحمد الله والشكر والثنا
صلاة وتسليم على خير من أتى
وفاة لآباء شيخ وشبان
ووالدي والأهل طرَّ وولداني
ليظفر في الأخرى بمنّ وحلوان
إذا جاء موتي أن أموت بإيمان
لندخل جنات بلا فرق نيران
على القادر القهار خالق أسناني
إلينا بهدي بعد غيِّ وغفران

مصادر ترجمة الشاعر:

أويس إبراهيم، فن الرثاء لدى المرحوم أحمد صابر محمد: دراسة أدبية، بحث علمي لنيل شهادة الليسانس، جامعة عثمان بن فودي، صكتو، 2007م.

عثمان محمد جني، دراسة أدبية لبعض قصائد أحمد صابر في المدح والحماسة والرثاء، بحث علمي للحصول على درجة الماجستير، جامعة عثمان بن فودي، صكتو، 1431هـ.

ناصر أحمد صكتو، الاتجاه السياسي لدى شعراء مدينة صكتو في القرن العشرين: دراسة أدبية، رسالة علمية للحصول على درجة الدكتوراه في اللغة العربية، جامعة عثمان بن فودي، صكتو، 1431هـ.

الشيخ عبد الله جاتو

2005-1946

ولد الشيخ عبد الله (جاتو) بن محمد بحارة غطاطو في مدينة صكتو سنة 1946 في أحد القولين، ولُقّب بـ (جاتو) لشدة البياض في بشرته آن مولده حسب التقاليد الفلانية.

نشأ في كفالة مالم بلاربي سركن غوندو بن الوزير عباس، وبيت الوزارة في صكتو معروف بصرف الهمم إلى العلم تحصيلاً وتعلماً وخدمة لأهله، فلا غرو إذا وجدنا الفتى عبد الله جاتو مقبلاً على العلم منذ طفولته إقبالاً منقطع النظر، "فتلقى مبادئ العلوم في الكتاتيب، بدأ بالقرآن الكريم، كما هو المؤلف في المنهج الدراسي لدى الصكتيين، تعلم القرآن الكريم على المعلم إبراهيم بن محمد البشير غطاطوا، واستمر بعد ختم القرآن، يقرأ عليه الكتب الأولية مثل كتاب أصول الدين للشيخ عثمان بن فودي ومختصر الأحضري والعشماوي والعزية ثلاثتها في الفقه المالكي ثم بردة البوصيري وعشرينيات الفا زازي"

ومن الذين بذلوا جهداً عظيماً في فتح مواهب هذا الشاعر وتنمية ملكاته حتى نبغ في شتى العلوم الدينية والأدبية الدكتور الوزير جنيد الذي لازمه الشاعر واستفاد من معارفه الموسوعية، كما استفاد قبل ذلك بعدد من أعلام صكتو في تلك الحقبة أمثال المعلم الإمام محمد بلو أكورا والأستاذ محمد البخاري جوط بن الوزير عبد القادر مثطو.

ولم يكنف الشاعر بما ينهله من هذه المعاهد الدهليزية العظيمة، حتى تاقت نفسه إلى العل من معين المدارس النظامية فالتحق فعلاً بمدرسة العلم النظامي سنة 1960 التي قضى فيها أربع سنوات، ثم فور تخرجه فيها سنة 1964 شمر عن ساق الجد للترود من كعبة الطلاب في تلك الحقب وهي مدرسة العلوم العربية بكنو حيث قضى فيها أربع سنوات ليتخرج فيها عام 1968م متضلعا في فنون العلم، إذ إن المتخرجين في هذه المدرسة في ذلك الزمن يفوقون في نواحي عدة حاملي الشهادات العليا في أيامنا، لكن الشاعر أصر على مواصلة الدرب في التحصيل الأكاديمي وذلك بعد التحاقه بالعمل الحكومي ردحاً من الزمن، فالتحق فعلاً بكلية الآداب، والعلوم بصكتو عام 1976م للحصول على شهادة الدبلوم في الدراسات الإسلامية واللغتين العربية والهوسا.

وبما أن الشاعر رفيع الهمة لا يترك للاستزادة فرصة إلا وتشبث بعراها، فعكف على قراءة الكتب والدواوين الشعرية المعاصرة، كما كان شديد التعلق بالصحف العربية، وقد ساهمت هذه المصادر جميعا في تنمية مواهبه، ثم إن مجلس المناظرة الذي يعقده شيخه الدكتور الوزير جنيد كان عميق الأثر وجلي الدور في إثراء ثقافة الشاعر وتوسيع دائرة معارفه.

وقد قضى حياته مزاولا مهنة التدريس فأثرى المجتمع الدراسي في صكتو بخطبه ومسرحياته التي يشنف بها أسماع عشاق اللغة العربية، وقد تخرج عليه كوكبة من الطلاب الذين تفخر بهم البلاد لما أبدوه من التفوق في مختلف المجالات التي خاضوها، ومرد ذلك إلى حنكة هذا الأستاذ المرابي بجانب عوامل أخرى فعلا.

ومن جملة المهام التي أنيط بها تفسير القرآن الكريم في الجامع الأكبر لأمير المؤمنين محمد بلو بن الشيخ عثمان، وقام بهذه المهمة خير قيام حتى وفاته، رحمه الله، ظهر الاثنين الثامن من أغسطس آب 2005م.

أما الشعر فقد كان عهد الشاعر به مبكرا حيث كان يحاول قرض الشعر ولا يزال طالبا في النظامية في العقد الثاني من عمره معتمداً على حسه الإيقاعي دون أن يعرف عن العروض والقافية شيئا، وظل يكتب الشعر حتى قوي فيه ساعده وأصبح معدوداً من جملة كبار شعراء صكتو في عصره، وجل شعره من قبيل أشعار المناسبات، أكثر في الرثاء ثم المديح، وكان يلقي أشعاره بين يدي كبار الساسة، ويؤخذ عليه تكرير المعاني نفسها كما يلاحظ تفاوت واضح بين قصائده فتعلو حيناً وتهبط إلى القاع حيناً آخر، وشعره بعيد عن الزخرفة سهل العبارة، ولعل ذلك من ظلال التأثر بالنزعات التجديدية في الأدب العربي في مطلع القرن العشرين حيث يتفق المؤرخون له على أنه كان شديد الاعتناء بديوان أحمد شوقي وحافظ إبراهيم.

نماذج من شعره:

قال يمدح أمير المؤمنين أبابكر الثالث، لما حضر مناسبة المولد النبوي بحارة أكيح:

أهلا أمير المؤمنين ومرحبا بأي البرايا قائد الإسلام

نجل المجدد شيخنا وإمامنا نور الزمان محطّم الأصنام

لا شك أنت حسن لأنك محسنٌ أنت المعاذ ولات حين خصام

أحييت رسماً للخليفة دارساً
يا أحسن الأملاك خلقاً طيباً
خلق كضوء البدر أو كالروض أو
ومناقب لولا المهابة والتقى
يا رائد الإسلام يا علم الهدى
أتم بنو المجد المؤثر والندى
فانهض وقم للدين جدّ عهده
وأعد على الدنيا زمان مجدّ
يا طاهر الآباء والأجداد والـ
أنت الإمام المستبين لنا به
ولأنت أكرم مجتبي في صفوة
بل أنت بحر والملوك جداول
أعلى الإله بكم معالم دينه
والله يعلم أن في خلفائه
جلّت صفاتك أن يبين شاعرٌ
فدعاؤنا لك أن تدوم منعمًا
وموافقًا ومؤيدًا ومصفرًا
والله يرعاهم ويصلح سعيكم
ومحوت كل ضلالة وظلام
يا أعدل الأمراء والحكام
كالماء أو الزهر في الأكام
قلنا مناقب منبع الأحكام
زين المحافل مرتع الأيتام
لكم السيادة منتهى الأيَّام
واحسم جموع الشرك بالصمصام
زمن الحياء وعزة ووئام
أنساب والأصلاب والأرحام
نهج السعادة مرحبا بإمام
قاموا برفع مكانة الإسلام
وهم النجوم وأنت بدر تمام
وأزان بهجته على الإرغام
عدلا يسوس الأمر بالإحكام
عنها ولو بلسان ابن هشام
في صحة وسلامة وسلام
وتعيش بالإجلال والإكرام
ويقيمكم من خلفكم وأمام

الحمد لله العلي المنعم هذا لنا بداية وختام
وقال أيضا في مدح زميله وأستاذه البروفيسور سمبو ولي جنيد:
أبلغ تحياتي وتسليمي إلى ذي الفضل والبطل الذي الصافي
ذاك الذي يسمي بسمبو جنيد من في خلقه يعتدُّ في الأشراف
من كان خير أبٍ لنا نسمو به من نال مثلك سمبو ليس بخاف
لا غرو أن تحظى بحظٍّ وافر وتفوز بالفوز العظيم الوافي
آبائك الغرُّ الكرام حجاج قادوا الورى بالعدل والإنصاف
فيكم مقاليد النهى موروثه سلمتموها من أولي الإسعاف
وأبوك قد حاز المفاخر والعلا وطهارة الأخلاق والأوصاف
ولقد ورثت بحاله فيما نرى تسمو إليك مكارم الأهداف
فالله أسأل أن تعيش منعمًا حتى تراك خليفة الأشراف
ووقاك ربُّ العرش كل رزيّة وكذلك ما في الكون من أرجاف
كن واثقا بالله دومًا سالكا سبل الصواب ومهيح الأسلاف
وصلاة ربي دائما لحبيبه ال مختار من مُضَرِّ وعبد مناف

مصادر ترجمة الشاعر

صكتو، مدر علي، ديوان الشاعر الشيخ عبد الله جاتو: تحقيق ودراسة، بحث علمي للحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية، جامعة عثمان بن فودي، صكتو، 1431هـ.

صكتو، ناصر أحمد، الاتجاه السياسي لدى شعراء مدينة صكتو في القرن العشرين دراسة أدبية، بحث علمي للحصول على درجة الدكتوراه في اللغة العربية، جامعة عثمان بن فودي صكتو، 1431هـ.

الدكتور عيسى ألي أبوبكر

- 1953

عيسى ألي بن أبي بكر بن جمعة، ينتمي من طرف والده إلى قبيلة اليوربا ومن طرف والدته إلى قبيلة الهوسا، حيث كانت أصول أمه (حنه) من كاتسينا في شمال نيجيريا أو من (مراطي) في جنوب النيجر.

ولد الشاعر عيسى ألي عام 1953 بمدينة كاسي غانا من أبوين نيجيريين، وكانت نشأته في مدينة إلوري حيث بدأ حياته العلمية من كتاتيب حارة غمبيري، فقد كان والده من أهل القرآن يتقنه جيّدًا وعليه كانت بداية الشاعر العلمية قبل أن يتحول إلى كفالة عمته (حليمة) بلاغوس التي أَلحقته بمركز التعليم العربي الإسلامي في أغينغ حيث تخرج فيه بالشهادة الثانوية سنة 1967. وحضّر الليسانس بجامعة إلورن عام 1982 ثم الماجستير بجامعة بايرو كنو عام 1990 والدكتوراه بجامعة إلورن عام 2001 ومن الشهادات التي حصل عليها شهادة الدبلوم العالي في تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها من جامعة الملك سعود بالرياض عام 1991م.

وفيا يتعلق بالحياة فقد عمل بعد تخرجه في المركز ردحًا من الزمن ناظرًا على إحدى المدارس الإسلامية بإيجيبو بأمر من أستاذه ومربيه الأستاذ آدم عبد الله الإلوري، لكنه بعد زمن قصير غادر لاغوس والتحق بإحدى المدارس الغربية لإرواء غلته وإشباع نهمه في العلوم الغربية، السلوك الذي لم يرض شيخه حامي الثقافة العربية والإسلامية في جنوب نيجيريا العلامة آدم عبد الله الإلوري الذي استدعاه وكلفه إدارة مدرسة دار العلوم لجهة العلماء والأئمة في إلورن.

وبعد حصوله على شهادة الليسانس وُظف معيدًا بجامعة عثمان بن فودي صكتو التي بقي فيها حتى عام 1994 ثم تحول إلى جامعة إلورن التي لا يزال محاضرًا فيها إلى الوقت الحالي.

أما الشاعرية فموهبة في عيسى ثم صقل الموهبة بسعيه الدؤوب في الاكتساب.

قال الشعر مُذ كان يافعا وظل مواظبا على قوله وتجويده وتصقيله حتى قويت شوكته... وقد نال بالشعر جوائز ودياشين كثيرة أعلاها الجائزة الأولى في المسابقة الشعرية التي نظمتها جامعة الملك سعود بالرياض ضمن فعاليات أسبوع التوعية حول مضار التدخين، عام 1991.

فقد طاف الشاعر بالمدن الإفريقية والعربية ورأى من مثيرات الإبداع ما استحوز على خياله وحثه على قول الشعر. فكان الشاعر الوحيد الذي عانق الجنوب الشمال في شعره فتناول في شعره أوضاع البيئتين بعد أن كان أكثر الشعراء الذين سبقوه لا يمثلون بشعرهم إلا قطراً معيناً من أفطار البلاد.

وقد وصفه بعضهم في كلام ينطوي على شيء من المبالغة: "حكمة من جلت منحته قد اقتضت هوميروس في اليونان ومرجيل في الرومان وزهير وحسان وشوقي في العرب وشكسبير في الإنجليز والذكوان في البربر وعبد الله في الفلاني فجاء عيسى في إلورن تعويضاً من عظمت بركاته".

يقول جمبا (ألبى 2008: 51-16) متحدثاً عن عوامل تكوين شاعرية ألبى:

هناك عوامل كثيرة ولدت شاعرية عيسى ولضيق المقام نتعرض لاثنتين منها هما العامل البيئي والعامل الشخصي، أما البيئي فقد تجسد في ثلاث بيئات كان لها أثر قوي في الشاعر...: بيئة مدرسته بالمركز أعينى وبيئة جامعة عثمان بن فودي بصكوتو وبيئة وطنه إلورن، قضى الشاعر بالمركز ما يقرب من عقد من الزمن، في كنف شيخه المرحوم آدم عبد الله الإلوري الذي لقنه العلوم العربية والإسلامية وخرّجه شاعرًا، والمركز بيئة معينة لتنافس الشعراء عامرة بالشباب النابغين النشطين المتأثرين بتوجيه الإلوري وأسلوبه المتميز في إعداد الشعراء، ثم ساقه القدر المحتوم إلى جامعة عثمان بن فودي بصكوتو نيجيريا حيث عمل لعشر سنين محاضرًا بشعبة الدراسات العربية، احتك خلالها بأجلة الأدباء أرباب البيان الذين نقدوا شعره وقوموه ثم عاد وضرب أطنابه على موطنه إلورن عام 1994 وهي زاخرة بتراث الأدباء والأجداد بناء الحضارة الإسلامية وبالشباب المتحمسين للعربية المتفانين في حماية تراثها وثقافتها... أما العامل الشخصي فيتمثل في الموهبة الفذة والملكة الشعرية الكبيرة التي منح الشاعر إياها، إضافة إلى عكوفه على دواوين الشعراء القدامى والمحدثين.

على كل فقد كان شاعرًا مفلحًا، ولعله، حسب معلومتي، أول من تحققت فيه صفة الشاعرية في جنوب نيجيريا، إذ إن الشعر قبله جنوب البلاد لا يرقى إلى نظيره في الشمال.

"ظهر للشاعر إلى الوقت الحالي ديوانان، أولهما الرياض، الذي يحتوي على نحو من مائة وسبع عشرة قصيدة صنفت في ثمانية أبواب وهي المدائح والتهاني والأخلاقيات، الوصف، السياسة، الفخر، الغزل، الشكوى، العتاب، ثم المرثي"

أما ديوان السباعيات فيتألف من مائة وسبعين قصيدة تتوزع بين الوصف والغزل والفخر والحكمة والفلسفة وغيرها.

وشعر عيسى لم يخرج من الشعر العمودي الذي استوحى نماذجه منه، وربما أورد لوحات جزئية يعتمد فيها على استقصاء زوايا الصورة عن طريق تكثيف الصورة المفردة المتألفة في نسق كلي كما نجد في قوله مصوِّراً الحالة الاجتماعية في نيجيريا ومدى تضرر الشعب منها:

بلادنا ناقة مباركة	لها فصال لذيدة الحلب
لكنها تستدرها فئة	دون سواها بقوة الغلب
ونحن حل بها نعيش أخي	عيش غريب مشردّ وحب
كحوت بحر رماه في اليد	س الحظ فأضحى يعيش في نصب
كطائر ضل وكره فغدا	عديم أم وصاحب وأب

فلو أن الشاعر، كما نرى، أحكم الربط بين أفراد هذه الصورة لغدت لوحة فنية في أروع ما تكون، وإن التوتر الذي نلمح في بناء الصورة قد يكون ناشئاً من محاولة إكساب الأبيات طاقات إيجابية متناغمة مع الوضع الاجتماعي الذي تعيشه البلاد، كما يعبر عن مدى تداعي الصور في عقل الشاعر الذي يحاول التقاطها بعد شحن السياق بها تعميقاً لحيوية النص، وهذا ما يتجلى بشكل أوضح في قصيدته التي يقول فيها:

يا صديقا جفا بدون اعتذار	لي كلام إليك مثل الشرار
إن تماديت في لجاجك ظنا	منك أن المفعول فعل الخيار
وتوهمت أن مثلك طود	في علوم والناس كالأغوار
أو ترى الناس كلهم كالفحوم	إنما أنت في غلاء النضار
أو بدى الناس تحت فضلك ريقا	إنما أنت في حضم البحار
ويقين الألوفا عندك شك	إن حرقاً تقول كالبتار
إن قولاً به نفوه لآل	يأخذ اللب فعلة السحار

أو تسلقت شاهقا من جبال وتمد اليدين للأقمار
وتطهرت كالنسيم صفاء إنما الغير لوثة الأكدار
فأيقني من السبات إلى الدن يا أيقني يا دولة الخوار

فالشاعر لم يجد وسيلة أقوى لبث استغرابه واستنكاره لواقع هذا الصديق من تكثيف التوتر داخل النص مستغلا من أيقونات التناقض التي تستكنه الكون وتستقطب الوجود في الربط بين أفراد الصورة التي غدت أكثر تلاحما وتماسكا رغم زخمة التناقضات في أثنائها، ويبدو أن الشاعر لا يهيمه أعمال ذهنه لخلق الروابط الفنية بين أشتات الصورة في سياق واحد.

أما بعد فالآتي نماذج من شعر عيسى ألبى:

يقول عن نظم الشعر:

إن نظم القريض صعب المراس
كل من قاله ولو كانت العجمة
فخذوا منه قوله إن في ذا
جيد الشعر نفحة منه تكفيننا
وله قوة يُنجي بها النا
وترى الحب حين تسمعه تف
قائل الشعر بالبراعة والجودة
كيف لا وهو في المحافل فرد
اسألوا عنه زمرة الأكياس
في نطقه بغير أساس
لك خيرًا وذاك طب مواس
لنقذ النفوس من وسواس
س جميعا من حيرة الخناس
رح حتى يفوق فرح الناس
رهن الخلود في الأرماس
هو يزهو فيها برفع الرأس

لو تردى رث الثياب يراه
الناس في خير مظهر ولباس
ألم إن رأى مشاهد ظلم
كيف لا وهو مرهف الإحساس
وإذا ما رأى الجميل تغنى
في جميع الأعياد والأعراس
هو في لجة التأمل دومًا
هو خل الأقلام والأطراس
هم الشاعر العظيم فظن الـ
ناس جهلا قد مسّ بالمسماس

ويقول متألمًا لما نزل بديك من ظلم في قصيدة "الديك المحترق":

يا ديك ما ذنب الصباح
تغشيه في الفجر الملاح
وتمد عرفك فيه في
زهو يجيب وانسراح
يصحوبه من قد تعم
ق في المنام إلى الصباح
ويعود بعد الصمت للـ
تفديك زخرفة الريا
مدنيا النشاط كذا المراح
وتجاوب الأطياريـ
ش كذاك زركشة الجناح
ذبح بالتغرد والنواح
إني رأيتك تلتظي
يومًا بلا أثر الجناح
تجري خليلا حائرًا
والناس مسكره كراح
هو مشهد سأظل أذكره
وفي القلب الجراح
ما ذاك إلا غلظة
في الخلق ليس لها براح

وقال بعد قراءة كتاب (عبقريّة عمر) لعباس محمود العقاد:

قصيدة قلتها إني أحكيها
في سيدي عمر الفاروق إن لها
صوّرت أخلاقه شعراً وصورها
نعوته في فم الأزمان باقية
ضحى بكل نفيس كان يملكه
وحظّ من صحب المختار في أدب
وأعدل الناس بعد المصطفى عمر
يا حافظ النيل ما أحلى قوافيها
وقعا يثير نفوسا في محاشيها
نثراً يراعى عبّاس مجليها
في الشعر والنثر لا تبلى معانيها
ونفسه كان للرحمان يؤذيها
مثوبة الله في الفردوس يعليها
مقولة أين من يأتي وينفيها

وقال متأسفاً من واقع نيجيريا المتردي لاستشراء الفساد فيها:

جروح بلادي متى تندمل
تمر علينا السنون بلا
تئن بلادي وصورتها
ضميري يؤلمه قولهم:
بلادي عن حجم خيراتها
فهل ذاك أجدى العباد وهل
مآسي بلادي متى تنتهي
وقول مخاطبا النفس:

ونضج رجالي متى يكتمل
جهود تغلنا بالأمل
مشوّهة عند كل الدول
(نيجيريا) مكنظة بالعلل
وأنجائها في الورى لا تسل
أفادهم في جواز الوجل
جروح بلادي متى تندمل

يا نفس لا تتصدّعي أبداً ولا تتزعزعي
وعن الحساسات المذلّة في الحياة ترفّعي
وإلى الهداية والفضيلة والصفاء تسرّعي
في مطلع الشمس اعلمي وقت الدجى لا تهجي
إن اعتكفك في الصدور يفلُّ حدّ المطمع
ويتيح للإنسان أن يرجو طريق الألمي
يا نفس أنتِ كريمة في الإثم لا تمرعي

وقال عن وثيقة خارطة الطريق:

ما بال (خارطة الطريق) تخيا بأنفاس الغريق
أ لأنها مرسومة فقدت تدابير اللبيق
أم خططوها واهمين بأنها عمل دقيق
أم أنها من بدئها قد شدّها جبل حذيق
أم أن واضعها عدو جاء في ثوب الصديق
أم أن تلك مكيدة حيكت لتضليل الفريق
لا تخنقوها إنها بعيوبها أمل عميق

للاستزادة عن الشاعر وشعره يمكن الرجوع إلى:

● الدكتور عيسى ألبى أبوبكر، الرياض، مطبعة ألبى، إالورن، 2006

- الدكتور عيسى ألبى أبوبكر، السباعيات، النهار للطبع والنشر والتوزيع القاهرة، 2008
- مرتضى عبد السلام الحقيقي، الشعر السياسي في ديوان الدكتور عيسى ألبى أبوبكر، دراسة أدبية تحليلية.
- آمنة محمد، فن الوصف في ديوان الرياض للدكتور عيسى ألبى أبوبكر، دراسة أدبية تحليلية لنماذج مختارة، بحث علمي للحصول على الماجستير في اللغة العربية، جامعة بايرو كنو، 2009.

المحامي آدم عثمان

-1957

ولد الشاعر المحامي آدم عثمان بتاريخ 17/5/1957م من أسرة فلانية أصلها من قرية (دكُو) استوطنت قرية (بول جنغوا) المتاخمة لمدينة (غومبي) حيث وُلد الشاعر ثم انتقلت الأسرة إلى (بول بردي).

وكان من حسن الطالع لهذا الشاعر أن نشأ في بيئة علمية معروفة بالدين والصلاح فجدّه محمد بوسي كان عالماً ورعاً وكذلك والده عثمان بن محمد الذي كان يزاول مهمة تفسير القرآن الكريم خلال رمضان المبارك حتى وفاته عام 1982م.

تلقى المحامي آدم عثمان القرآن الكريم ومبادئ الفقه واللغة من والده، ثم لما تآقت نفسه إلى التزود اتصل بنخبة من علماء تلك المنطقة أمثال مالم تکر ومودبو عمر جرقسا والحافظ محمد بجوغا ومالم أبوبکر وروديغا ومالم يحيى وورديغا ومالم عثمان شلو غطجل، حتى تضرّع في الفقه المالكي من خلال الكتب المدروسة عادة في دور العلماء في شمال نيجيريا.

وفي مستهل العقد الثامن من القرن العشرين أرسله والده إلى كنو حيث قضى عشر سنوات ينهل من معينها، طاف خلال هذه الفترة على بعض علماء كنو العتيقة كالشيخ تکر زنگون بربري والشيخ أي بكر بلوي الذي أقام عنده فترة طويلة والتحق كذلك بمدرسة العلوم العربية التي تخرّج فيها عام 1978م.

ثم التحق عام 1980 بكلية الحقوق والشريعة في جامعة عثمان بن فودي صكتوا حيث حصل على بكالوريوس في الحقوق النيجيرية بلاغوس.

وبعد أن احتسى من شتى الفنون العلمية سلّم أمره للشيخ طاهر عثمان بوتشي الذي غذّاه على غدران التصوف وأذاقه لذة العبودة، وعن ذلك يقول في قصيدة يمدح بها الشيخ طاهراً:

من كان مجذوباً فأصبح سالكاً	لله درُّ كماله إذ يجمع
أحمد بقلبك للعبادة إنها	تحتكُّ أدناس القلوب وتخشع
واصل مواصلة الرجال فإنني	بهم وجدت بذور قلبي يمرع
حيران كنتُ قبيل لقيا شيخنا	لو ما لقيتك حيرتي لا تقشع

ظمان كنتُ وردت بحراً صافيا بك حين جئت وجدتك المستنقع

وفيما يتعلق بالحياة الوظيفية، فقد عمل فور تخرجه مع وزارة العدل في ولاية بوتشي وتدرّج في سَلَم العمل القضائي حتى استقال أخيراً عن منصب نائب المسجل العام بمحكمة الشريعة الاستئنافية.

وبعد استقالته اسس غرفة المحاماة الخاصة باسم (Miyatti Allah Chambers) كما خاض غمار النشاط السياسي مع عودة النظام الديمقراطي إلى نيجيريا عام 1999م فترشح لمنصب نائب بمجلس ولاية غومبي وفاز في الانتخاب، وانتخبه زملاؤه رئيساً على مجلس الولاية لفترة رئاسة كاملة (1999-2003م).

أما الشاعرية فهوبة في المحامي قبل أن تصقل بالثقافة، حيث نجده يبدع في العربية والفلانية والهوسا، حتى بلغ به الإتيقان للنظم في الهوسا إلى الفوز عام 1982م بالمستوى الأول في المسابقات الشعرية التي تنظم خلال المهرجان الوطني لصيد السمك في (أرغغو) وتسلم جائزة شاعر المهرجان من رئيس الجمهورية الحاج شيخ شاغاري.

وقد بدأت أمارات هذه الموهبة تظهر منذ حداثة الشاعر، ففي مدرسة العلوم بكانو كانوا يلقبونه بأمير الشعراء، إذ لا تكاد مناسبة تمضي دون أن يلتقطها بجدسه الذواق، وانهالت عليه الجوائز في المناسبات الشعرية المختلفة منذ ذلك الوقت.

ومما ساعد في تنمية موهبة الشاعر وشحذ عبقريته كونه مولعا بالقراءة والمطالعة ومغرما بكتب الأدب الانجليزي بصفة خاصة، كما كان شديد العناية بالصحف والمجلات الدولية والمحلية ومتابعا للسياسة الدولية والصراع بين الحضارات من خلال القنوات الفضائية التي أدمنها المحامي. ولعل اتكائه على الفضائيات هو ما جعله يقع أحيانا في أخطاء إملائية فادحة فيما يتعلق بكيفية كتابة المصطلحات الحديثة إذا وضعنا في الاعتبار أنه "تحول رسميا عن التعليم العربي منذ التحاقه بالجامعة، وبقي ما كان يقوم به من الجهد الفردي في تثقيف نفسه. والمثال على ما نقول كلمة الدمار الذي ظل الشاعر يكتبها (الضمار) في قصيدته عن نزع أسلحة الدمار الشامل العراقية:

- إن الضمار لدى تناثر حملها أبكى فظاعته الأصم وأبكما

حتى إذا عمّ الضمار وأقفوا بالقصف جاؤوا بالقرار ليلزما

- ودعا العراق بأن تفتّح بابها فتحا يوهل للفريق تسلّما

الطبقة الزرقاء عن تصميمها في صنع أسلحة الضمار وأرغما

أما بعد، فإن الشاعر المحامي آدم عثمان يستحق عن جدارة أن يرد اسمه في قائمة رواد الشعر العربي النيجيري المعاصر، يقول فيه أحد الباحثين بحق "إن مدينة بوتشي لم تر في العصر الراهن شاعرًا ينظم إنتاجات عربية مثل هذا الشاعر من حيث كثرة الانتاجات وتعدد الأغراض وسعة الثقافة ومثانة النظم والموهبة".

ثم إن الشاعر المحامي آدم عثمان من الشعراء النيجيريين القلائل الذين مزجوا بشعرهم من مجر الأغراض التقليدية من المديح والثناء وما إليهما فتنوعوا في التعرض لقضايا الساعة،...

نماذج من شعره

يقول في ذكر معتقل غواتنامو بي والحرب على الإرهاب المزعوم ووكالة الطاقة الذرية فيما يتعلق بإحالة ملف إيران إلى مجلس الأمن الدولي:

تَبَّأَ لعولمة قد جنَّدت فرقا	قامت بمعتقلات عمت الأفقا
لبئس معتقلا في كوب موقعه	للأبرياء مكانا ساء مرتفقا
بغوا تناموا لقد أرسوا دعائمهُ	ولا يغاث به المظلوم إن صعقا
جزيرة بعميق البحر ليس به	إلا الغثاء على الأعشاب إعتقا
له جدار عجيب الصنع شيَّده	بان حكيم بأرض تعتري الطرقا
يبقى اللبيب عجيبًا عن تسله	أو هدمه كلما حازاه إحترقا
تحميه شائكة الأسلاك مؤصدة	ومن تعدَّى عليها هار وانطلقا
بناؤه مطبق من كل ناحية	تخاله حفرة في الأرض أو نفقا
ناهيك ظلما إذا حلَّ الظلام به	لظلمه لا يُرى صبحٌ إذا أفقا

ولا ترى مثله في الأرض معتقلا
حربٌ أعدت على الإسلام لست ترى
وهذه غزوة الإرهاب نظمها
يقدمون بما قاموا به علنا
وهم غزاة على أفكارنا ولهم
ويسخرون بنا في كل معتمر
مزاعم وشحتها أعظمتهم
يبغون سيطرة للسوء غاشمة
أيفرضون على إيران قولهم
أملوا عليها جهارًا وقف أنشطة
لها برامج أبحاث لطاقتها
فلن تعلّق من تخصيبها طرفا
وكالة حدة الشنآن رغبها
جالت ملفا إلى أصحاب غطرسة
فرض العقوبات شرًّا لا مردّ له
ولا انسياع ولا أقصى تعاونها
والإزدواجية النكراء شيتهم
هذا تجازي ولة في كل نازلة

عذابه كجحيم بابه غلقا
ضحية غير من بالدين إعتقا
دهاة عولمة من صفقة نسقا
جاسوا الديار بسرّ واتقوا الطرقا
أجندة سلمها حرب وإن سحقا
وهم عمالقة والغير قد سبقا
نالت بأنظمة الإعلام منطلقا
بحق نقد أدانوا من به خرقا
بحق نقد أدانوا من به خرقا
للبحث عن طاقة عدوًا بما اتفقا
على شفا فيه ما كانت لتنبسقا
فرض الإدانة يبدو واهنا خلقا
عميلة الغرب تعسا بالذي فسقا
بمجلس الأمن تأديبا بمن خفقا
على إيران بمكر منهم صفقا
يجدي سوى أن يرى التخصيب قد طبقا
خذ تل أيب وخذ طهران منطلقا
لهم يد إنهم شرّ بهم خُلقا

وللشعوب حقوق لا نساومها أحداً وطغيانهم لاغ وإن وثقا

وله أيضا في ذكرى احتلال العراق والانسحاب الأحادي الجانب في غزة من قبل شارون ثم دعوة الفصائل إلى

توحيد الصف الفلسطيني:

فالإحتلال علينا حلّ واعتكفا
بأي ذنب ترى أرضي محاصرة
إن كان للنفظ إنا نحن مالكة
إن حاصرونا على تفتيش أسلحة
معارض جاء بالبهتان معتديا
عراقنا مرة لن تلف خاضعة
أرض مجد ومجد القوم بأسهم
إما انتخاب وإما دفن آخرهم
مسلّحون إذا ما كامنوا ضربوا
وأضرموا النار في سكنات غاشمهم
ترى العدوّ حيورًا في مخاوفه
قومٌ ضربناهم بالقوم وانهمزوا
ماذا تقول لحبّ ظل نقمتمنا
دكّ البيوت وخزّ النخل معتديا
والقدس ظل عقودًا تحت وطئته
عمّ البلاد بلاء آن أن يقفا
بأي ذنب دماء الأبريا سُرفا
من المبدّل ما الرحمن قد نصفا
مزاعم مكرها لكل قد كُشفا
على ذوبه يروم العز والتزفا
للإحتلال وخذ درسا بما سلفا
والعز يبقى إذا ما البأس قد عُرفا
وسط الصحاري لنبي المجد والشرفا
هام العدوّ وهزّوا الرّجل والكتفا
وجفّروا آليات الحرب والسقفا
يدعو ثبورًا ويدعو الويل والأسفا
إن التحاق **فاس** الحتف والتلفا
يبغي التوسع ضد الأبريا حنفا
هذا الجدار له يا ليت قد نسفا
شعب صمود تصدى القامع العنفا

واليوم أيقن شارون وزمرته
والإفراضة لما تنتهي ولكم
بالأمس نرجم بالأحجار غاشمنا
ردوا الأراضي لقوم هم جهابذها
إن الفلسطينيين أرض لا تساوها
إن قدّموا حقنا إنا نقدّسهم
وقل لشارون إما الانسحاب ضني
وتلك غزة باتت وهي هادئة
عيدوا بوحدة صف كان مختلفا
وأمرّوا غزة من بعد ما خربت
نسعى إلى دولة والقدس عاصمة
لا هدنة تتصدى أو مساومة
حتى نقصم ظهر الظلم عن قهر
وتخفق الراية العظمى لدولتنا
هيا بنا يا حماة الأرض واعتصموا

فك الحصار على الأحرار قد زلنا
منا القذائف إن إجلاؤكم وقفنا
وبالصواريخ نرمي اليوم من زحفا
عيدوا الحقوق على أصحابها الخنفا
مع العدو بشر إن غدا شطفا
إن مارسوا القمع نحمي السهل والجعفا
أو رجف من جاء مردوفا ومن ردفا
إثر انسحاب عدوّ هار وانحرفا
بين الفصائل كونوا أحسن الخلفا
تكون رمزا لشعب ظلّ مجترفا
لها برغم الذي احتلنا وجفا
ضد الكفاح بجهد نبتغي الهدفا
نحرّر الأرض عن طغيان من زحفا
توحي السيادة والتمجيد والشرفا
بالله واعتزموا سحق الذي صدفا

للاستزادة عن الشاعر آدم عثمان يمكن الرجوع إلى:

- أبو بكر، كبير أمين، فن المديح في قصائد المحامي آدم عثمان، دراسة نقدية، بحث علمي للحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية، قسم اللغات النيجرية والافريقية، جامعة أحمد بلو زاريا، 2010
- الثالث، يعقوب محمد، ظاهرة جديدة في الشعر العربي النيجيري: عرض ودراسة لشعر السيد آدم عثمان، رسالة علمية للحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية، جامعة بايرو كنو، 1998
- عثمان، محمد المنصور، المحامي آدم عثمان: شاعريته وقصائده حول **مناهضات** ضد الإسلام، بحث تكميلي لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية، قسم الأديان، جامعة جوس، 2008